مُقَارَبَات مُعَاصِرَة

مجلس كنائس الشرق الاوسط

إهداءات ٢٠٠٣

كلية العلوم الإنسانية و اللاهوتية

المعادى



مُقارَبات مُعاصِرة

قِسمُ الإيمان وَالوحْدَة



الطبعة الأولى

١٩٩٤

المحتويات

مقدمة

ليس الحديث في أمر "الثالوثيات" أمراً يسيراً. فهو، في المقام الأول، شهادة للإيمان الذي يتأسس على الوحي في استناده إلى خبرة الرسل. وهو أيضاً مقاربة للسرّ في قلب الحياة المسيحية. كما هو مدعوّ أن يتأمل في العقيدة كما صاغتها الكنيسة الأولى في وجه الهرطقات على تنوعها.

وتزداد دقّة الحديث بقدر ما نعي أهميته بل ضرورته لدى مخاطبة الإنسان المعاصر ملتفتين إلى السياق الثقافي الذي يتفاعل معه.

غير أن الدقة لا تختزل الغنى ولا تتعارض، بالطبع، مع انفتاح الفكرة الثالوثية ومعها الخبرة على سائر أوجه الحياة المسيحية واتصالها بمعطيات الإيمان واحدة بعد الأخرى.

لذلك تسلك المحاولات التي نضعها بين أيديكم في طريق يبدأ من "الباب الضيّق" بين الأصالة والمعاصرة، لتضع أمام المسيحي الناطق بالعربية جملة من التأكيدات وتقترح عليه إيضاحات لا يتعدّى بعضها حدود الملامسة الأولى. ولعلّها في ذلك تثير، معه ومن أجله، ما يستدعي تأملاً متجدّداً .

والفصول الأربعة، وقد وقّعها أربعة مؤلفين، حصيلة جهد لم تقتصر المساهمة فيه على أصحابها. فاختيار موضوعاتها جاء بعد مداولات تمت خلال ثلاث حلقات دراسية (١٩٨٧، ١٩٨٨، ١٩٨٩) وشارك فيها ما يناهز العشرين من اللاهوتيين أتوا من مختلف التراثات المسيحية في البلاد العربية. ولم يكن اختيار الموضوعات، رغم بساطته الظاهرة، ممكناً الاّ بعد مناقشات طويلة، في

المنهج والمحتوى، أرادت أن توفّق بين العرض "التقليدي" والمعالجة "الحديثة" وسعت إلى تبيان الروابط الوثيقة بين الإيمان والعقيدة الكنسية والتاريخ وقضايا الإنسان في مساره الشخصي والعائلي والمجتمعي.

ولم يباشر الكتّاب إعداد مسوّدات نصوصهم الاّ بعد تدارس عدد غير قليل من النصوص والكتابات انطلاقاً من "الأصول" الكتابية والعقائدية ومروراً بالفكر الآبائي والتراث المسيحي العربي وانتهاءً بالاجتهادات الحديثة، شرقاً وغرباً.

ولم تحافظ المسوّدات المذكورة على صيغها الأصلية بل تمّت مراجعتها وعدّلت على ضوء مداولات حلقة دراسية رابعة (١٩٩١) كادت أن تُعيد البحث إلى أوله لما تخلّلها من أخذ وردّ ثبّت في الأذهان ما كان في الأول فرضية رافقت العمل منذ بدايته ألا وهي أن الوقت لم يحن بعد لإصدار كتاب جماعي، بالمعنى الحقيقي للكلمة.

ولم تكن نوعية الكتاب وحدها موضع تساؤل، بل تلازم الإعداد له مع تجديد التشاور حول الغاية منه. فبعد الاهتمام الأول بأن يتوجه الكتّاب بالدرجة الأولى إلى غير المسيحيين صار التشديد على لزوم مخاطبتهم المسيحيين تبديداً لبعض الالتباسات عندهم أو تعزيزاً لقدرتهم على قول ما يؤمنون به. بيد أن الفصل بين التوجّهين لم يكن قاطعاً. فهل يستطيع المرء في يومنا هذا أن يكتب بل أن يفكر وكأن الآخر غير مخاطب لا يقرأ أو أنه غير معنّي ؟ وهل يمكن أن نغفل احتمالات التقارب، على صعيدي الاستفهام أو الاعتراض، بين أحاسيس البعض ومفاهيمهم، مسيحيين كانوا أم غير مسيحيين؟

على ضوء كل ذلك، ليس هاجس هذا الكتاب ان يكون دفاعياً، على غرار الكثير مما جاء في الأدب المسيحي العربي. فلا يُستغرق في تبيان التوحيد المسيحي رغم القول بالثالوث. ولا هو، مثقل بالتعابير العقائدية والبراهين السجالية التي تزداد غموضاً أو التباساً إذا ما أُخرجت عن سياقها التاريخي.

إنه لا يتوسل الفلسفة للاقناع أو ردّ الاتهام ولا يستعيد المصطلحات في تكرار يجرّدها فينفصل الفكر الثالوثي عن نطاق الحياة في الكنيسة كما في المجتمع.

من هنا، نحن أمام محاولة قد تكون الأولى من نوعها في العربية. ولا يدفعنا هذا إلى الإدّعاء بل إلى الإقرار المتواضع بأنها ليس الاّ بداية. ولأنها بداية اعتمدت الحوار المسكوني لغة والتعاون أسلوب عمل، فهي دعوة مفتوحة لدراسة موصولة. وفيما نرجو لها أن تستجاب، تحدونا الرغبة على أن نلبي، وإن مؤقتاً، حاجةً استشعر بها قسم الإيمان والوحدة في مجلس كنائس الشرق الأوسط.

تبقى الإشارة باقتضاب إلى تسلسل الفصول. فالأول كتابي يرمي الإجابة عن السؤال – الأصل : لماذا نؤمن بالثالوث؟ ويوضح الثاني قراءة الكنيسة للكتاب ليقدّم منظوراً تاريخياً عقائدياً. أمّا الثالث والرابع فيتناولان في تمايز حيناً وتقاطع حيناً آخر، الثالوث والإنسان فيسلّطان الضوء على معنى الشركة في حياة الجماعة.

الثالوث القدوس في الكتاب المقدس

بقلم المطران كيرلس بسترس

مقدمة

"باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين"

بتلك العبارة نبدأ نحن المسيحيين معظم صلواتنا وأعمالنا. وفيها نشهد أولاً لايماننا "بالآب والابن والروح القدس" . ثم نؤكد أن الآب والابن والروح القدس "إله واحد". فشهادتنا **للتثليث** هي في الوقت عينه شهادة **للتوحيد**. ان **الإيمان المسيحي** لا يمكن ان ينفصل بين التثليث والتوحيد، ولا يصحّ في المسيحية أي كلام على الله يقتصر على أحد هذين الأمرين، لأن التثليث والتوحيد يكمّل احدهما الآخر، ويفسّر احدهما الآخر. وكذلك **الحياة المسيحية** لا يمكن أن تستند إلى أحد هذين الأمرين، لأن الحياة المسيحية هي حياة مع اللّه واتحاد باللّه. والحياة مع اللّه والاتحاد به لا يمكن تحقيقهما الاّ ضمن الإيمان بالتثليث والتوحيد معاً.

من أين استقت المسيحية إيمانها بالتثليث والتوحيد ؟ وإلى أي شيء تستند عندما تردّد شهادتها "للآب والابن والروح القدس الإله الواحد" ؟

ما نودّ اثباته في هذا الفصل هو أن عقيدة التثليث والتوحيد في المسيحية ليست حصيلة تفكير بشري نظري في الله، بل هي تعبير عن إيمان المسيحية منذ نشأتها بظهور اللّه ظهوراً نهائياً وخلاصياً في **شخص يسوع المسيح**. فيسوع المسيح هو **ابن اللّه** الذي له ملء **الروح القدس**، وقد أرسله اللّه إلى العالم "لما بلغ ملء الزمان" (غلا ٤ :١)، ليكشف ان يسوع المسيح هو ابن الله وكلمته، اي انه

التعبير الشخصي عن الآب. فيه اكتمل وحي اللّه، وفيه عرفنا الآب والابن والروح القدس الإله الواحد.

ان بحثنا في الثالوث القدوس سيتمحور اذاً أولاً حول وحي اللّه لذاته في العهد الجديد في شخص ابنه وكلمته يسوع المسيح. الا أننا سنسعى إلى اظهار العلاقة الدائمة بين العهد القديم والعهد الجديد. فوحي الله لذاته في العهد الجديد لم ينطلق من لا شيء، بل كان اكتمالاً لما أوحى عن ذاته في العهد القديم.

ثم إن بحثنا في الثالوث القدوس سيحاول دوماً أن يظهر أن وحي اللّه لذاته للإنسان هو **لأجل خلاص الإنسان**. من هذا المنطلق يتخذ وحي الثالوث القدوس بعداً خاصاً. فعلاقة الإله الواحد بالإنسان قد ظهرت لنا علاقة ثالوثية وخلاصية. إن الإنسان قد حصل على الخلاص من خلال علاقته بالآب والابن والروح القدس. وانطلاقاً من تلك العلاقة الثالوثية والخلاصية، أتيح للاهوت المسيحي بناء عقيدة عن اللّه تجمع بين التوحيد والتثليث. لذلك نرى أنه يستحيل على أيّ إنسان، أمسيحياً كان أم غير مسيحي، أن يدرك أيّ شيء عن الثالوث الأقدس خارج تلك العلاقة، أي **علاقة الإله الواحد الثالوثية الخلاصية بالإنسان.**

اننا لا نتكلم على الثالوث الأقدس الاّ لأن اللّه ظهر لنا في تاريخ الخلاص أباً يرسل الابن الذي له ملء الروح القدس. وظهور الآب والابن والروح القدس في تاريخ الخلاص هو الوحي الذاتي للإله الواحد الأزلي الذي **لا إله الاّ هو**، الذي لأجل محبته للبشر ظهر للبشرية ظهوراً شخصياً بواسطة كلمته وابنه الأزلي وبواسطة روحه القدس، ليتيح للإنسان أن يتحد به ويشترك في حياته الالهية، ويحصل هكذا على الخلاص.

القسم الأول – اللّه الآب

"اللّه لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو نفسه هو أخبر" (يو١: ١٨).

ان الإله الذي يتوق كل إنسان إلى معرفته، والذي ظهر للأنبياء في العهد القديم قد ظهر لنا في ملء الأزمنة في شخص ابنه يسوع المسيح الذي هو في ذاته

وحي الآب. لذلك عندما نتكلم نحن المسيحيين على اللّه، لا بدّ لنا من أن ندعوه أباً. فاللّه هو أب لجميع الناس، وهو "الآب"، لأنه أب بنوع خاص ليسوع المسيح الذي هو ابنه وكلمته الأزلي، "صورة مجده وضياء جوهره" (عب١:٣).

الله أب لجميع الناس

ان اطلاق صفة الأبوة على اللّه نجده في مختلف أسفار الكتاب المقدس في كلا العهدين القديم والجديد. ويعني أمرين متكاملين : فاللّه هو أب لجميع الناس أولاً لأنه خالقهم، وثانياً لأنه يحبهم كما يحب الأب ابناءه.

فاللقب الأول للّه في الكتاب المقدس في العهد القديم هو لقب "الرب" و "السيد". الاّ أن سيادة اللّه هي سيادة محبة وعطف وحنان. لذلك يدعى اللّه أيضاً "الأب". ولقب "الأب" هذا، الذي نجده في بعض مقاطع العهد القديم، يصير في العهد الجديد على لسان يسوع المسيح اللقب الأول والأساسي للّه، أي اللقب الذي يعبّر أصدق تعبير عن كيان اللّه وعن علاقته بالإنسان.

١ - في العهد القديم

سأل يوماً أحد الكتبة السيد المسيح : "أي وصية هي أولى الوصايا جميعاً؟" فأجابه السيد المسيح مردّداً كلمات العهد القديم : "الوصية الأولى هي : اسمع يا اسرائيل، الرب الهنا هو الربّ الوحيد. فأحبب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك وكل قوتك. والوصية الثانية التي تشبهها : أحبب قريبك كنفسك" (مر ١٢:٢٨-٣٠، تثنية ٦:٤-٥).

فالرب الإله هو الرب الوحيد الذي يجب أن يحبه كل إنسان. إنه الخالق والمخلص والقدوس. ولذلك هو أيضاً **الأب**. نقرأ في سفر أشعياء النبي :

"يا ربّ، أنت أبونا. نحن الطين وأنت جابلنا، ونحن جميعاً صنع يديك" (أش ٦٤:٨)، "أنت يا رب أبونا وفادينا، منذ الدهر اسمك" (أش ٦٣:٦).

وكذلك نقرأ في سفر تثنية الاشتراع:

"أبهذا تكافئ الرب، أيها الشعب الأحمق الذي لا حكمة له ؟ أليس أنه

أبوك ومالكك الذي فطرك وأبدعك؟ ... الصخر الذي ولدك تركته، والإله الذي أنشأك نسيته. فرأى الربّ واغتاظ لما أغضبه بنوه وبناته" (تث ٣٢:٦ - ١٩).

وفي تلك الأبوّة يجد الأنبياء حافزاً **لدعوة الشعب الى القداسة** : فإن دعوة سفر الأحبار : "كونوا قديسين، لأني أنا الربّ إلهكم قدوس" (أح ١٩:٢) نجد صداها في نبوءة ارميا مع ذكر أبوة اللّه لشعبه : "ارجعي إليّ، يقول الرب، أما دعوتني منذ ذلك الوقت : يا أبتِ/ أنت مرشد صبائي ... ارجعوا أيها البنون المرتدّون، فأشفي ارتداداتكم" (ار ٣:١،٤،١٩،٢٢). يأتون باكين وأهديهم ... لأني أب لاسرائيل، وأفرائيم بكر لي" (ار ٣١:٩). وفي ذلك يقول أيضاً النبي ملاخي : "الابن يكرم أباه، والعبد يكرم سيّده، فان كنت أنا أباً، فأين كرامتي، وان كنت سيّداً، فأين مهابتي؟" (ملا ١:٦). أليس أب واحد لجميعنا ؟ أليس إله واحد خلقنا ؟فَلِمَ يغدر الواحد بأخيه مدنساً عهد آبائنا ؟" (ملا٢:١٠).

وهوشع النبي يجمع بين محبة الأب وحنان الأم : "إذا كان اسرائيل صبياً أحببته، ومن مصر دعوت ابني ... وأنا درّجت افرائيم وحملتهم على ذراعيّ، لكنهم لم يعلموا اني أنا أبرأتهم" (هو ١١:١-٢). وكذلك يقول اشعيا : "أتنسى المرأة مرضَعها فلا ترحم ابن بطنها ؟ لكن ولو أنّ هؤلاء نسين، لا أنساكِ أنا" (أش ٤٩:١٥).

٢ - في العهد الجديد

ان لقب "الأب" يصير في العهد الجديد على لسان السيد المسيح المفضّل للّه. فوصية العهد القديم: "كونوا قديسين، لأني أنا **الربّ إلهكم** قدوس" (أح ١٩:٢) تصير في العهد الجديد على لسان السيد المسيح : "كونوا كاملين كما أن **أباكم السماوي** هو كامل" (متى ٥:٤٨).

ويصوّر لنا السيد المسيح اللّه أباً قريباً من الإنسان يعتني بالبشر كما يعتني الأب بأبنائه: "لا تهتموا لأنفسكم بما تأكلون ولا لأجسادكم بما تلبسون. أليست النفس أفضل من الطعام، والجسد أعظم من اللباس ؟ أنظروا إلى طيور السماء، فانها لا تزرع ولا تحصد، ولا تجمع في الأهراء، **وأبوكم السماوي** يقوتها،

أفلستم أنتم أفضل منها بكثير ؟ ... فلا تقلقوا اذاً قائلين : ماذا نأكل ؟ أو: ماذا نشرب ؟ أو: ماذا نلبس؟ "فهذا كلّه يطلبه الوثنيون، **وأبوكم السماوي** عالم بأنكم تحتاجون إلى هذا كله. بل اطلبوا أولاً ملكوت اللّه وبرّه، وهذا كله يزاد لكم" (متى ٦:٢٥ - ٣٤).

ويشبّه السيد المسيح للّه بالأب الذي يعرف أن يعطي العطايا الصالحة لأولاده : "اسألوا فتعطوا، أطلبوا فتجدوا، اقرعوا فيفتح لكم. فان كلّ من يسأل يُعطى ومن يطلب يجد، ومن يقرع يُفتح له. اي إنسان منكم يسأله ابنه خبزاً فيعطيه حجراً ؟ أو يسأله سمكة فيعطيه حيّة ؟ فإذا كنتم، مع ما أنتم عليه من الشرّ، تعرفون أن تعطوا العطايا الصالحة لأولادكم، فكم بالأحرى أبوكم الذي في السماوات يمنح الصالحات للذين يسألونه" (متى ٧:٧-١١).

كذلك في حديثه عن التوبة، يشبّه السيد المسيح اللّه **بالأب** الذي ينتظر عودة ابنه الأصغر والذي أخذ حصته من الميراث وقصد إلى بلد بعيد وأتلفها هناك عائشاً في التبذير. ولدى عودته، "وإذ كان بعيداً، أبصر أبوه، فتحرّكت أحشاؤه وبادر إليه وألقى بنفسه على عنقه وقبّله طويلاً " (لو ١٥:٢٠). ولما أراد الابن أن يعتذر عمّا صنعه، قائلاً : "يا أبتاه، قد خطئت إلى السماء واليك، ولا أستحق بعد أن أُدعى لك ابناً "، قاطعه الأب قائلاً لغلمانه : "هلمّوا سريعاً بأفخر حلّة وألبسوه، وضعوا في يده خاتماً وفي رجليه حذاء، وأتوا بالعجل المسمّن واذبحوه، ولنأكل ونفرح، لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوُجِدَ" (لو ١٥:٢٢-٢٤).

القسم الثاني - الابن

أولاً: اللّه أب يسوع المسيح بنوع خاص : يسوع هو "المسيح ابن اللّه"

١ - "ابن الله" المسيح المنتظر في العهد القديم

في العهد القديم كان الشعب كله يدعى ابناً لله. ولكن الملك هو "ابن الله" بنوع فائق. فهو يمثّل الشعب كله، وفي شخصه تتجمع وعود الله لشعبه. ويوجز

المزمور الثاني تلك الوعود : "أنت ابني، أنا اليوم ولدتك، سلني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي المسكونة ملكاً لك" (٧،٨). كانت هذه العبارة تستخدم في حفلة تتويج ملوك اسرائيل، وقد أخذها اليهود عن البابليين والمصريين. فعند هؤلاء الشعوب كان الملك، يوم تنصيبه، يُعلن "ابن اللّه". ولكن بينما كان المصريون يعتبرون ملوكهم أبناء اللّه بالجسد بطريقة أسطورية، كان البابليون يعتبرون تلك البنوة بمعنى التبنّي القانوني. وهذا المفهوم البابلي هو الذي تبنّاه البلاط الملكي الاسرائيلي، وهو الذي نجده في مختلف أسفار العهد القديم. **فالملك هو ابن الله ليس لأن الله ولده بالجسد، بل لأن اللّه اختاره وتبنّاه،** فإنّ ارادة الله ارادة خلاّقة وكلمته كلمة مبدعة، يريد فيتمّ، يقول فيكون، يقول اللّه للملك : "أنت ابني، أنا اليوم ولدتك"، فيصبح الملك منذ تلك اللحظة ابن اللّه.

"سلني فأُعطيك الأمم ميراثاً وأقاصي المسكونة ملكاً لك". ان هذا القول الذي يصحّ في ملوك مصر وبابل العظماء الذين ترتجف المسكونة أمامهم، قد يبدو حلماً وخيالاً عندما يُلفظ لدى تنصيب ملوك اسرائيل، تلك المملكة الضعيفة التي كانت دوماً عرضة لهجمات المماليك المجاورة. لذلك كان هذا القول يعتبر وعداً لمستقبل زاهر يرسل فيه اللّه إلى شعبه ملكاً قوياً يسود الأمم ويمتدّ مُلكه إلى أقاصي المسكونة. ويتفق هذا الوعد مع الوعد الذي وعد به اللّه داود على لسان ناتان النبي : "متى تمت أيامك واضجعت مع آبائك، سأُقيم من يليك من نسلك الذي يخرج من صُلبك وأقرّ ملكه. فهو يبني بيتاً لاسمي، وأنا أقرّ عرش ملكه إلى الأبد. **أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً**" (٢ ملوك ٧:١٢-١٤).

لقد كانت تلك النبوءة نقطة الانطلاق لترقّب مجيء المسيح من نسل داود. ويشير المزمور ٨٨ إلى تلك النبوءة ويضع علامة واضحة بين "المسيح" و "الابن". يبدأ المزمور بذكر وعود اللّه لداود. فقد اختاره اللّه وجعله ابناً له:"حلفتُ لداود عبدي، لأثبتنَّ نسلك إلى الأبد، ولأثبتنَّ عرشك الى جيل فجيل ... وجدتُ داود عبدي، بدهن قداستي مسحتُه ... يدعوني : انك أبي والهي وصخرة خلاصي، وأنا أجعله بكراً علياً فوق ملوك الأرض". ثم يقابل تلك الوعود بالحالة التي وصل اليها ملوك اسرائيل : "لكنك أقصيت ورذلت. استشطت على مسيحك ... أين

مراحمك الأُول أيها السيّد التي لأجلها حلفتَ لداود بأمانتك؟". ويطلب الى الله أن يرسل دون ابطاء المسيح الحقيقي الموعود به : "اذكر ايها السيّد عار عبيدك، الذي عَيَّر به أعداؤك يا رب، عيَّروا بابطاء مسيحك".

٢ – يسوع المسيح "ابن اللّه" في العهد الجديد

انّ الرسل والمسيحيين الأولين قد رأوا في شخص يسوع تحقيق وعود اللّه بارسال هذا الملك "المسيح" و "ابن اللّه"، الذي سوف يملك على المسكونة كلها ولن يكون لمُلكه انقضاء. هذا ما عبّرَ عنه لوقا في روايته بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم بولادة المسيح. وقد وضع على لسان الملاك الأُقوال الحرفية التي جاءت فيها وعود اللّه بالمسيح في العهد القديم : "ها أنتِ تحبلين وتلدين ابناً، وتسمّينه يسوع. إنه يكون عظيماً، وابن العلّي يدعى. وسيُعطيه الرب الإله عرش داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الدهر، ولن يكون لملكه انقضاء" (لوقا ١:٣١-٣٣).

الا أن تحقيق نبوءات العهد القديم في يسوع المسيح لم يكن تحقيقاً مادياً بل تحقيقاً روحياً. فالمسيح لم يصعد على عرش ملك زمني ليسود العالم، بل ارتفع على الصليب ليجتذب اليه الجميع وينشئ ملكوت الله : "وأنا متى ارتفعت عن الأرض اجتذبت إليّ الجميع" (يو ١٢:٣٢).

ان لقب **ابن اللّه** يرد في مواضع كثيرة من العهد الجديد الى جانب لقب **المسيح** وكأنهما مترادفان. فمرقس يبدأ انجيله بقوله : "بدء انجيل يسوع المسيح ابن اللّه" (١:١). وفي انجيل متى يعترف بطرس الرسول بيسوع قائلاً : "أنت المسيح ابن اللّه الحيّ" (١٦:١٦). ويوحنا ينهي انجيله بالشهادة ليسوع المسيح ابن اللّه : "وصنع يسوع أمام التلاميذ آيات أخرى كثيرة لم تدوّن في هذا الكتاب، وانما دوّنت هذه لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن اللّه" (٢٠:٣٠،٣١). وفي رسالته الأولى يتكلّم عن الإيمان تارة بأن "يسوع هو المسيح"، وطوراً بأن "يسوع هو ابن اللّه"، وكأن اللقبين مترادفان. ففي الفصل الرابع مثلاً يقول في الآية الثانية: "ان كل روح يعترف بأن يسوع هو ابن اللّه، فاللّه يقيم فيه وهو يثبت في

اللّه". كذلك في الفصل الخامس، يقول في الآية الأولى : "كلّ من يؤمن أن يسوع هو المسيح فهو مولود من اللّه". ثم يضيف في الآية الخامسة : "من ذا الذي يغلب العالم الاّ الذي يؤمن أن يسوع هو ابن اللّه"؟ .

ترد هذه الشهادة على أن يسوع هو "ابن اللّه" في الأناجيل الأربعة وفي جميع مراحل حياة يسوع وعلى لسان اللّه الآب ويسوع نفسه والملائكة والرسل وكثيرين ممّن شفاهم يسوع أو رأوا أعماله وعجائبه وموته وقيامته.

فمنذ **البشارة** يقول الملاك جبرائيل للعذراء مريم : "لا تخافي يا مريم، فلقد نلتِ عند اللّه. وها أنتِ تحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. إنه يكون عظيماً **وابن العلي** يدعى". وعلى سؤال مريم: "كيف يكون ذلك وأنا لا اعرف رجلاً "؟ يجيب الملاك : "الروح القدس يأتي عليك وقدرة العليّ تظلّلك، ومن أجل ذلك فالقدّوس الذي يولد منك يدعى **ابن اللّه**" (لوقا ١:٣٠-٣٥).

يضع لوقا علاقة بين لقب يسوع "ابن اللّه" والحبل به من الروح القدس في أحشاء مريم العذراء دون مباشرة رجل. وهذا الحبل العجيب من الروح القدس لم يُذكر عن إنسان آخر غير يسوع في الكتاب المقدس كله. ويتفق متى مع لوقا في ذكر الحبل بيسوع من الروح القدس : "أمّا مولد يسوع فكان هكذا" لما خُطبت مريم أمه ليوسف وجدت من قبل أن يسكنا معاً، حبلى من الروح القدس" (١:١٨،١٩).

وترد الشهادة على أن يسوع هو ابن اللّه على فم يوحنا المعمدان : "ها هوذا حمل اللّه، الذي يرفع خطيئة العالم. هذا هو الذي قلت عنه إنه يأتي بعدي إنسان قد تقدم عليَّ لأنه كان قبلي ... أنا لم أكن أعرفه، الاّ أنّ الذي أرسلني لأعمِّد بالماء هو قال لي ان الذي ترى الروح ينزل ويستقر عليه هو الذي يعمّد بالروح القدس. فذلك ما قد عاينت وأشهد أن هذا هو ابن اللّه" (يو ١:٢٩-٣٤).

كما ترد الشهادة نفسها على فم نثنائيل : "ربّي، أنت ابن اللّه، أنت ملك اسرائيل" (يو ١:٤٩)، وسائر الرسل الذين بعد أن عاينوا يسوع يمشي على الماء سجدوا له قائلين : "أنت حقاً ابن اللّه" (متى ١٤:٣٢).

ويضع الانجيليون الشهادة نفسها على فم الأرواح النجسة : "وكانت

الأرواح النجسة اذا رأته تخرّ له وتصرخ قائلة : "أنت ابن اللّه" (مر ٣:١١،راجع أيضاً لوقا ٤:٤١).
ويسوع نفسه، عندما يسأله رئيس الكهنة في اثناء محاكمته: "هل انت المسيح ابن اللّه؟" يجيب: " أنت قلت" (متى ٢٦:٦٣،٦٤).

٣ - يسوع المسيح هو "الابن الوحيد" للّه

أ) إن سرّ المسيح قد اتضح تدريجياً لرسله وتلاميذه، من خلال تعاليمه وأعماله.

- ففي تعاليمه يظهر أنه أعظم من الكتبة والأنبياء. فالكتبة كانوا يقتصرون، في تعليمهم، على تفسير ناموس موسى. أمّا يسوع فيتخطى الناموس، أو بالحري يوصله إلى كماله : "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. إني ما جئت لأنقض بل لأكمل" (متى ٥:١٧). واضع الناموس وحده يستطيع أن يوصله إلى كماله. لذلك يضيف يسوع : "ان لم يزد برّكم على ما للكتبة والفرّيسيين، فلن تدخلوا ملكوت السماوات" (متى ٥:٢٠).

كذلك الأنبياء يتكلمون باسم الله، فيبدأون نبوءاتهم بالعبارة التالية : "هكذا يقول الربّ" . لا نجد أي أثر لتلك العبارة في أقوال يسوع، بل يتكلم بسلطته الخاصة، كما نسمعه يردد في عظته على الجبل في الفصل الخامس من انجيل متى : "سمعتم أنه قيل للأقدمين ... وأنا فأقول لكم". "قيل للأقدمين"، صيغة المجهول في تلك الجملة تعبير مألوف يشير إلى اللّه. ومن يجرؤ أن يزيد شيئاً على كلام اللّه أو أن يدّعي الوصول بهذا الكلام إلى كماله الا اللّه نفسه ؟ ومع ذلك نسمع السيد المسيح يضيف : "وأنا أقول لكم" . وهذا دليل على أن السيد المسيح يدرك أن كلامه ليس كلام اللّه نفسه، وأنه في تعليمه، يوصل كلام اللّه الذي أعطي في العهد القديم الى كماله، معلناً هكذا إرادة اللّه الأخيرة والنهائية.

- والأمر عينه يبدو واضحاً من خلال أعمال السيد المسيح، ولا سيّما في موقفه من شرائع الناموس ومن الخطأة. فالشرائع والوصايا التي ينصّ عليها الناموس هي شرائع اللّه ووصاياه، ولا أحد يستطيع أن ينقضها الاّ اللّه وحده.

ومع ذلك نرى يسوع ينقض شريعة السبت معلناً أنه هو "ربّ السبت" (مر ٢:٢٩)، نراه ينقض شرائع الصوم (مر ٢:١٨-٢٢) وجميع المراسيم المتعلقة بغسل الأيدي وغسل الكؤوس والجرار (مر ٧:١-٢٣). ونراه بنوع خاص يغفر الخطايا، وهو يعلم أن "ما من أحد يقدر أن يغفر الخطايا الاّ اللّه وحده" (مر ٢:٧).

إن السيد المسيح يعمل على الأرض أعمالاً خاصة باللّه، ومن خلال ذلك يظهر لنا جلياً أن عمله هو عمل اللّه نفسه وأن إرادته هي إرادة اللّه نفسه. يقول للمخلّع : "يا ابني مغفورة لك خطاياك" (مر ٢:٥)، وللمرأة الخاطئة : "مغفورة خطاياكِ" (لو ٧:٤٨). ومن خلال صيغة المجهول يدرك المستمعون أن اللّه نفسه هو الذي يغفر الخطايا في شخص يسوع المسيح.

ب) **انّ من يتكلم على الأرض كلام اللّه نفسه، ومن يعمل على الأرض أعمال اللّه نفسه، لا بدّ أن يكون مميّزاً عن سائر الأنبياء.** إن لقب "**نبي**" لا يكفي للتعبير عن شخصه. إنه "أعظم من يونان" و "أعظم من سليمان" (متى ١٢:٤١،٤٢). وهذا الفرق الجوهري بينه وبين من سبقه من الأنبياء يوضحه السيد المسيح نفسه في مثل "**الكرّامين القتلة**" . فجميع الأنبياء الذين جاؤوا قبل السيد المسيح ليبشروا الشعب ويجنوا من كرمة اللّه ثمار التوبة وأعمال الإيمان لم يكونوا سوى خدّام للّه. أمّا يسوع فهو ابن اللّه، **الابن الوحيد للّه.** فبعد أن يروي السيد المسيح في مثله كيف قتل الكرّامون جميع الخدّام الذين أرسلهم اللّه إليهم، يضيف : "وبقي له أيضاً **واحد، ابن حبيب،** فأرسله اليهم في الأخير، قائلاً : انهم سيهابون ابني. غير أن أولئك الكرّامين قالوا في ما بينهم : هذا هو الوارث هلمّوا فلنقتله فيكون الميراث لنا. فقبضوا عليه وقتلوه. وطرحوا به خارج الكرم" (مر ١٢:١-٨).

ج) **يسوع هو وحده "الابن" الذي يعرف "الآب" معرفة كاملة.**

لقد رأى التلاميذ والرسل في يسوع المسيح شخصاً مميّزاً تربطه باللّه علاقة فريدة. وقد انكشفت لهم تلك العلاقة الفريدة في أوقات خاصة في مناجاة حميمة بين الآب والابن، أتى الانجيل المقدس على ذكر بعض منها في لوحات

سماوية تنقلنا من عالم الأرض إلى عالم أزلية اللّه عزّ وجلّ لتكشف لنا بعضاً من سرّه .

- **يسوع يدعو الله "أباً"** : إن لفظة أبا هي لفظة آرامية ينادي بها الطفل أباه، وقد نقلتها الينا بلفظها الآرامي الأناجيل المكتوبة باليونانية، ووضعتها على لسان يسوع. وهذا يدلّ على أن يسوع كان يستعملها في صلاته ومناجاته الله. وقد تفرّد يسوع عن العهد القديم وعن جميع معاصريه من المعلمين في استعمال تلك اللفظة في صلاته الى اللّه. ممّا يشير الى ألفة خاصة بينه وبين اللّه. فالإنسان الذي يدعو اللّه "أبّاً" هو "الابن" بالمعنى المطلق.

- **المعرفة المتبادلة بين "الآب" و "الابن"** :

إن تلك الألفة الفريدة بين يسوع واللّه تظهر لنا أيضاً، وبشكل خاص في قول للسيد المسيح نقله لنا انجيل متى :

"لقد دفع اليّ كلّ شيء،
وليس أحد يعرف الابن الاّ الآب
ولا أحد يعرف الآب الا الابن
ومن يريد الابن أن يكشف له" (متى ١١:٢٧).

"الآب" وحده يعرف "الابن"، و "الابن" وحده يعرف "الآب". تلك المعرفة المتبادلة الكاملة بين الآب والابن تكشف لنا بعضاً من سرّ يسوع المسيح، ليس فقط في وجوده على الأرض كإنسان، بل أيضاً في وجوده منذ الأزل "في حضن الآب"، كما يقول انجيل يوحنا (١:١٨). "لقد دفع الآب كل شيء إلى الابن". فهناك اذاً وحدة عمل ووحدة كيان بين الاب والابن.

وهذا ما يظهر أيضاً من خلال مقاطع متعددة من الانجيل المقدس. فعندما سأل فيليبس يسوع : "يا ربّ أرِنا الآب وحسبنا"، أجاب يسوع :

"أنا معكم كلّ هذا الزمان، ولا تعرفني، يا فيلبس. من رآني فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت: أرِنا الآب؟ أفلا تؤمن أني أنا في الآب، وأنّ الآب فيّ؟ الأقوال التي أكلمكم بها لا أتكلم بها من نفسي، بل الآب المقيم فيّ هو يعمل أعماله. صدّقوني أنّي أنا في الآب والآب فيّ، والاّ فصدقوا من أجل الأعمال"

(يو ١٤: ٨-١١).

يؤكد يسوع وحدته مع الآب التي تظهر في أقواله وأعماله. فالأقوال التي يتكلم بها لا يتكلم بها من نفسه، والأعمال التي يعملها لا يعملها بقدرته. انّما الآب المقيم فيه هو الذي يتكلّم ويعمل أعماله فيه. وهذا أيضاً ما يكرّره لليهود : "انكم لا تعرفوني أنا ولا أبي، لو كنتم تعرفوني لعرفتم أبي أيضاً" (يو ٨: ١٩).

وعندما سأله اليهود : "حتى متىَ تريب أنفسنا؟ إن كنت المسيح، فقله لنا جهراً "، أجابهم يسوع: "لقد قلته لكم، ولا تصدّقون. والأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي"، ثم أضاف : " **أنا والآب واحد**" (يو ١٠: ٢٤-٢٥، ٣٠). فتناول اليهود حجارة لكي يرجموه. "فأجابهم يسوع : لقد أريتكم أعمالاً حسنة كثيرة من عند الآب، فلأيّ عمل منها ترجموني؟، أجابه اليهود : لسنا لعمل حسن نرجمك، بل لأجل التجديف، ولأنك تجعل نفسك إلهاً، وأنت إنسان. فأجابهم يسوع : أوَ ليس مكتوباً في ناموسكم: أنا قلت انكم آلهة؟ فإن كان الناموس يدعو آلهة أولئك الذين صارت اليهم كلمة اللّه - ولا يمكن أن يُنقض الكتاب - فأنا، الذي قدّسه الآب وأرسله الى العالم، تقولون لي : إنّك تجدّف، لكوني قلت : **أنا ابن اللّه**. ان كنت لا اعمل أعمال أبي، فلا تصدقوني. ولكن ان كنت أعملها، ولا تريدون أن تصدقوني، فصدّقوا هذه الأعمال، لكي تعلموا وتعترفوا **أن الآب فيّ وأني أنا في الآب**" (يو ١٠: ٣٢-٣٤).

- **تجلّي ابن اللّه** (لو ٩: ٢٨-٣٧)

إن يسوع المسيح هو ابن اللّه منذ الأزل، وكونه إنساناً لا يناقض كيانه الإلهي. فكيانه الإلهي الذي ظهر في أقواله وأعماله، ظهر بكامل مجده في "التجلّي".

يوضح لوقا أن تجلّي يسوع أمام تلاميذه قد حصل "فيما هو يصلّي" (٩: ٢٩). ذلك أن الصلاة، بالنسبة إلى يسوع، هي لقاء الابن مع الآب، فيه يضع الابن ذاته بين يدي الآب، ويؤكد الآب محبته للابن.

"وفيما هو يصلّي، تغيّر منظر وجهه، وصارت ثيابه بيضاء لامعة". والتلاميذ كانوا معه "شاهدوا مجده". واذا برجلين، موسى وإيليا، يخاطبانه، تراءيا في

مجد، وأخذا يتحدثان عن موته الذي سيقاسيه في أورشليم". إن يسوع، في وسط آلامه وموته، يبقى الابن الممتلئ من مجد الآب. والتلاميذ، الذين يشاهدون الآن مجده يسمعون في آنٍ معاً صوت الآب يعلن، من الغمامة (التي ترمز الى كل الظهورات، الى اللّه): "هذا هو ابني، مختاري، فاسمعوا له". انّ الآب وحده يعرف الابن، وها هو الآن يعلن انّ "يسوع هو ابن اللّه".

ثانياً : يسوع المسيح ابن الله هو ايضاً "كلمة اللّه" و "حكمة اللّه"

إن سرّ شخص يسوع المسيح ومعنى بنوته الإلهية يتضحان لنا أكثر إذا ما قارنّا لقب "ابن الله" بلقبي "كلمة اللّه" و "حكمه اللّه" اللذين ورد ذكرهما في العهد القديم ووجدا كمال تحقيقهما في شخص يسوع المسيح.

١ - "كلمة اللّه" و "حكمة اللّه" في العهد القديم

أ) كلمة اللّه

الكلمة هي تعبير عن فكر الإنسان وتعبير عن إرادته. وفي حال غياب الإنسان تمثّل كلمته نوعاً من حضوره. هكذا كلمة اللّه في الكتاب المقدس هي حضور اللّه في وسط شعبه. ويتّسم هذا الحضور بثلاث سِمات : فكلمة اللّه تكوّن الشعب، وتخلّصه، وتخلق الكون.

- ان اللّه، بكلمته، يكشف لشعبه عن علاقته به وتصميمه تجاهه. فهو الذي اختار شعبه "ليكونوا له خاصة من جميع الشعوب". وهذا ما أعلنه لموسى على جبل سيناء :

"وصعد موسى إلى اللّه، فناداه الربّ من الجبل قائلاً : كذا تقول لآل يعقوب وتخبر بني اسرائيل. قد رأيتم ما صنعت أوامري وحفظتم عهدي، فإنكم تكونون لي مملكة أحبار وشعباً مقدّساً " (حز ١٩:٣-٦).

وعلى جبل سيناء أوصى اللّه موسى أن يكتب "كلام العهد الكلمات العشر" (خر ٣٤:٢٨)، أي وصايا اللّه العشر التي ستكون القاعدة والأساس لحياة الشعب وعلاقته باللّه. فالشعب يتكوّن وينشأ. ويصير شعباً مقدّساً للّه بحفظه كلام اللّه. فكلمة اللّه هي اذن التي تخلق شعب اللّه، أي تجعل من جماعة من

الناس شعب اللّه المقدّس.

- ثم ان كلمة اللّه ترافق الشعب الذي خلقته لتقوده على مدى تاريخه وتخلّصه. وذلك بواسطة الأنبياء الذين لا يتكلمون من ذواتهم بل ينقلون الى الشعب كلام اللّه. فيقول أشعيا: "استمعي أيتها السماوات، وأنصتي أيتها الأرض، فان الرب قد تكلّم" (أش ١:٢). ومعظم الأنبياء يبدأون نبوءاتهم بالعبارة التالية : "هكذا قال الربّ" (عا ١:٣،١١:٢،١:٣،١:١). وكلمة اللّه التي تُلقى اليهم تصير جزءاً منهم. وهذا ما يعبّر عنه ارميا وحزقيال بتعبير رمزيّ، "بأكل" كلمة اللّه. يقول ارميا :

"إن كلماتك قد بلغت إليّ، فأكلتها، فكانت لي كلمتك سروراً وفرحاً في قلبي، لأن اسمك ألقي عليّ، أيها الربّ إله الجنود" (ار ١٥:٦).

ويسمع حزقيال صوت اللّه يقول له :

"يا ابن البشر، اني مرسلك الى بني اسرائيل ... فاسمع ما أكلمك به ... افتح فمك وكُل ما أناولك". ويناوله الرب كتاباً فيأكله، فيصير في فمه كالعسل" ثم " ينطلق ليكلّم الشعب بكلام اللّه" (راجع حز ٢-٣).

وعندما تثقل كلمة اللّه على النبيّ لعدم اصغاء الناس اليها، يودّ الاّ ينطق بها، بيد أنها "تصير في قلبه كنار محرقة" (ار ٢:٩)، ولا يستطيع الاّ أن يتكلم بها.

ولكونها كلمة اللّه نفسه، فلا يمكن الاّ أن تؤتي فعلها، حسب قول أشعيا :

"كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجع الى هناك، بل يروي الأرض، ويجعلها تنشئ وتنبت لتؤتي الزارع زرعاً والآكل طعاماً، كذلك تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إليّ فارغة، بل تتمّ ما شئت وتنجح في ما أرسلتها له" (أش ٥٥:١٠-١٢).

وكلمة الله هذه تقود الشعب وتحكم به وتخلّصه، وان شعر النبيّ بضعفه وتردّده إزاء التبشير بها. فاللّه هو نفسه الذي يسهر على كلمته ليجريها. فعندما أعلن اللّه كلمته لارميا النبي، خاف ارميا وقال للّه : "ها أنذا لا أعرف أن أتكلم لأني صبيّ، فقال له الرب : "لا تخف من وجوههم، فانّي معدّ لانقاذك". ثم مدّ الربّ يده ولمس فمه وقال له : "هاءنذا قد جعلت كلامي في فمك. انظر : اني

أقمتك اليوم على الأمم وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس". ثم قال له الربّ: "ماذا أنت راءٍ يا ارميا؟" فقال : "إني راءٍ قضيباً ساهراً". فقال له الرب : "قد أحسنت في ما رأيت، فإني ساهر على كلمتي لأجريها" (ار ١:٦-١٢).

لذلك يرجو الشعب كلمة اللّه لأنها تخلّصهم : "أرسل كلمته فشفاهم ونجّاهم من مهالكهم" (مز ١٠٦: ٢٠). وتؤكد المزامير بنوع خاص رجاء المؤمن بكلمة اللّه وحمده اللّه على كلمته: "أحمد اللّه على كلامه، أحمد الربّ على كلامه" (مز ٥٥: ١١)، "ذابت نفسي شوقاً الى خلاصك، انّما رجوت كلمتك، كلّت عيناي من انتظار أقوالك، وأنا أقول متى تعزّيني" (١١٨: ٨١،١١٤،١٤٧).

- انطلاقاً من كلمة اللّه التي تخلق الشعب وتخلّصه، توصلت أسفار العهد القديم الأحدث عهداً إلى القول أنّ كلمة الله هي أيضاً التي خلقت الكون. ففيما تصف رواية الخلق الأقدم عهداً أن اللّه جبل الإنسان من طين، تصف الرواية الأحدث أنّ اللّه خلق الكون والإنسان بكلمته : "وقال اللّه : ليكن نور، فكان نور ..." (١:٣-٢٦). ونجد هذا التعبير عن الخلق بالكلمة في المزامير والأسفار الحكيمة : "بكلمة الرب صنعت السماوات، وبروح فيه كل جنودها" (مز ٣٢: ٦). "الربّ صانع الجميع بكلمته" (حك ٩: ١).

إن كلمة اللّه التي بها يكوّن اللّه شعبه ويرافقه ويخلّصه، والتي بها يخلق الكون، تشير في آن معاً إلى **تسامي اللّه عن الكون والإنسان** من جهة، والى **حضوره في الكون وقربه من الإنسان** من جهة أخرى. وكل ما قيل عن كلمة اللّه في العهد القديم سيرى العهد الجديد، ولا سيّما يوحنا الإنجيلي (يو ١:١-١٨)، تحقيقه تحقيقاً كاملاً في المسيح الذي هو **كلمة اللّه المتجسد.**

ب) **حكمة الله**

هناك علاقة وثيقة بين كلمة اللّه، وحكمة اللّه. فكلاهما تخلقان الكون وتكوّنان الإنسان وتقودانه وترشدانه الى إرادة اللّه وإلى كل عمل مقدّس. هذا ما نقرأه في سفر الحكمة الذي يجمع بين كلمة اللّه وحكمته، فيقول :

"يا إله الآباء، يا ربّ الرحمة، يا صانع الجميع بكلمتك، وفاطر الإنسان بحكمتك، لكي يسود على الخلائق التي كوّنتها، ويسوس العالم بالقداسة والبرّ، ويجري الحكم باستقامة النفس، هبْ لي الحكمة الجالسة الى عرشك ولا ترذلني من بين بنيك ... فإن كان في بني البشر أحد كامل ولم تكن معه الحكمة التي منك لا يُحسب شيئاً ... فأرسلها من السماوات المقدسة وابعثها من عرش مجدك، حتى اذا حضرت تجدّ معي وأعلم ما المرضي لديك. فانها تعلم وتفهم كل شيء فتكون لي في أفعالي مرشداً فطيناً وبعزّها تحفظني ... نحن بالجهد نتمثّل ما على الأرض وبالكدّ ندرك مابين أيدينا، فما في السماوات من اطلّع عليه، ومن علم مشورتك لو لم تؤتِ الحكمة وتبعث روحك القدوس من الأعالي، فإنه كذلك قوّمت سبل الذين على الأرض وتعلّم الناس مرضاتك. والحكمة هي التي خلّصت كل من أرضاك منذ البدء (حك ٩:١-١٩).

تلك الحكمة تراها الأسفار المقدسة **موجودة مع اللّه منذ الأزل** :

"الرب حازني في أول طريقه قبل ما عمله منذ البدء. من الأزل مسحت من الأول قبل أن كانت الأرض. ولدتُ حين لم تكن الغمار والينابيع الغزيرة المياه. قبل أن أقرّت الجبال وقبل التلال ولدتُ. اذ كان لم يصنع الأرض بعد ... كنت عنده مهندساً ... طوبى للإنسان الذي يسمع لي ... فإنه من وجدني وجد الحياة" (أم ٨:٢٢-٣٦).

وهي، على مثال كلمة الله، قد **خرجت من فم الله**. "اني خرجت من فم العليّ بكراً قبل كل خليقة، وجعلت النور يشرق في السماوات على الدوام ... قبل الدهر من الأول حازني، والى الأبد لا أزول" (سير ٢٤:٥-٦،١٤).

٢ - "كلمة اللّه" و "حكمة اللّه" في العهد الجديد

إن كل ما قيل في العهد القديم عن "كلمة اللّه" و "حكمة اللّه" وجد كمال تحقيقه في شخص يسوع المسيح الذي هو "كلمة اللّه" (يو ١:١-١٨)، و "حكمة اللّه" (١ كو ١:٢٤)، و "ضياء مجد اللّه وصورة جوهره وضابط كل شيء بكلمة قدرته" (عب ١:٣).

في العهد القديم كرز الأنبياء بكلمة الله، وتكلّم سليمان بحكمة الله. أمّا في

العهد الجديد، فقد حضرت الينا كلمة اللّه وحكمته في شخص يسوع المسيح: "رجال نينوى سيقومون، في الدينونة، مع هذا الجيل، ويحكمون عليه، لأنهم تابوا **بوعظ يونان**، وههنا **أعظم من يونان**. ملكة الجنوب ستقوم، في الدينونة، مع هذا الجيل، وتحكم عليه، لأنها أتت من أقاصي الأرض تسمع **حكمة سليمان**، وههنا أعظم من سليمان" (متى ١٢:٤١-٤٢).

لقد توسّع يوحنا، ولا سيّما في مدخل إنجيله، في الكلام على "كلمة اللّه". فيصف وجود الكلمة منذ الأزل مع الآب من قبل خلق العالم، ثم تجسّد الكلمة في الزمن لأجل حياة العالم.

يدور مدخل انجيل يوحنا حول فكرتين أساسيتين :

١) **علاقة المسيح الفريدة باللّه** : "فهو الكلمة الذي كان منذ البدء لدى اللّه" (٢). وهو إله : "وكان الكلمة اللّه"، "به كوّن كل شيء وبدونه لم يكن شيء واحد ممّا كوّن"، "فيه كانت الحياة"،و "الحياة كانت نور الناس". إنّه ابن اللّه الوحيد الممتلئ من مجد اللّه : "وقد شاهدنا مجده، مجداً من الآب لابنه الوحيد، الممتلئ نعمة وحقاً" (١٤). "وهو الإله الابن الوحيد، الذي في حضن الآب" (١٨).

٢) **المسيح هو الوسيط الوحيد بين اللّه والناس** : إنّه الوسيط في الخلق، اذ "به كوّن كل شيء واحد ممّا كوّن"، "العالم به كوّن" (١٠). وهو الوسيط في الخلاص : فقد منح العالم الحياة والنور : "فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس"، وبه يصير المؤمنون أبناء اللّه : "أمّا جميع الذين قبلوه، فقد آتاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء اللّه، هم الذين آمنوا باسمه، الذين لم يولدوا من دم ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من اللّه" (١٣). وبه نحصل على النعمة والحق : "فان الناموس أعطي بموسى، وأمّا النعمة والحق فبيسوع المسيح قد حصلا" (١٧).

والجملة الأخيرة توجز الفكرتين : اللّه لم يره أحد قط، الإله، الابن الوحيد، الذي في حضن الآب، هو نفسه قد أخبر" (١٨). فالمسيح هو ابن اللّه، وقد أخبرنا عن اللّه الذي لا يستطيع إنسان أن يراه. الابن وحده، الذي في حضن

الآب، أي الذي يعرف الآب معرفة حميمة، يستطيع أن يعرّفنا بالآب ويقودنا اليه، ويجعلنا أبناء له، ويملأنا من نعمته وحقيقته.

أمّا السبيل الذي سلكه ابن اللّه ليقودنا إلى اللّه، فهو التجسّد :"والكلمة صار جسداً، وسكن في ما بيننا، وقد شاهدنا مجده، مجداً من الآب لابنه الوحيد الممتلئ نعمة وحقاً" (١٤). فيسوع هو المسيح، كلمة اللّه وابن اللّه، الكائن منذ الأزل لدى اللّه : إنه كلمة اللّه الذي يعبّر أصدق تعبير عن اللّه، وهو ابن اللّه الذي يوحي الوحي الكامل عن اللّه.

ان التعبير الكتابي "كلمة اللّه" يوضح تعبير "ابن اللّه" ويزيل كل التباس يمكن أن ينشأ في فكر قارئ الانجيل المقدس أو سامع البشرى الخلاصية. فولادة الابن من الآب منذ الازل ليست ولادة جسدية ، بل ولادة روحية على غرار ولادة الكلمة من الفكر. فكما أن كلمة الإنسان هي تعبير عن فكره ، وكما أن فكر الإنسان هو تعبير عن كيانه ، هكذا أيضاً "ابن اللّه" هوأيضاً "كلمة اللّه" و"فكر اللّه" ، أي انه التعبير العميق الشخصي عن اللّه في إرادته وفكره وكل كيانه.

خلاصة

- يتساءل الناس اليوم أيضاً كما تساءل اليهود في زمن الكنيسة الرسولية الناشئة : ما معنى القول أنّ يسوع هو ابن اللّه ؟ الجواب عن هذا السؤال هو في شخص يسوع نفسه : إن اللّه قد ظهر ظهوراً نهائياً في شخص يسوع، وأوحى لنا بذاته الوحي الأخير (الاسختولوجي) في حياة يسوع وأعماله وأقواله. هذا ما يعنيه لقب الابن الذي يطلقه العهد الجديد على يسوع. يسوع هو الابن الذي به عرفنا الآب. لذلك لا يمكن لأيّ إنسان من بعد أن يتكلم عن اللّه الاّ من خلال يسوع الذي أظهر لنا اللّه. لا يمكن لأي إنسان أن يتكلم عن الآب الاّ من خلال الابن.

تلك هي نقطة الانطلاق لعقيدة الثالوث الأقدس في العهد الجديد وفي المسيحية. فالإيمان بالثالوث الأقدس ليس نظرية فلسفية اخترعها الفكر البشري ولا تصوّراً عقلانياً عن اللّه . إنما هو تعبير عن ظهور اللّه ظهوراً ذاتياً في شخص

يسوع المسيح. فاللّه هو الآب، وقد ظهر لنا في ابنه يسوع المسيح .

ثم ان تلك العقيدة لا تهدف الى إرضاء فضول الإنسان واشباع رغبته في معرفة أسرار الغيب وأسرار العالم السماوي. إنما هي دعوة للدخول في حياة اللّه.

لذلك يتابع نص متى : " تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والمثقلين وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم، وكونوا لي تلاميذ، لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا الراحة لنفوسكم. أجل ان نيري ليّن وحملي خفيف" (متى ١١:٢٨-٣٠). فلا يكفي أن يعرف الإنسان أنّ يسوع هو ابن اللّه، بل يجب أن يقبل اليه ليجد الراحة لنفسه.

إن يسوع المسيح الذي ظهر بالجسد هو "الابن" الذي يعرف "الآب" معرفة حقة، والذي له سلطان الآب ليدخل جميع الناس في حياة الآب. بالابن ندخل في حياة الآب.

القسم الثالث : الروح القدس

إن وحدة العمل والكيان التي ظهرت لنا في شخص يسوع المسيح بين الآب والابن نجدها أيضاً بين الآب والابن والروح القدس، وذلك في كلا العهدين القديم والجديد.

أولاً : الروح القدس في العهد القديم

الروح القدس هو روح اللّه الذي يعمل في الخليقة عمل اللّه نفسه.

١ - روح اللّه الخالق

إن روح اللّه هو روح القدرة، الذي يعطي الحياة لجميع الكائنات. فهو الذي خلق كلّ شيء، كما جاء في الآيات الأولى من سفر التكوين : " في البدء خلق اللّه السماوات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلام، وروح اللّه يرّف على وجه المياه" (تك ١:١-٢)، وكما جاء أيضاً في المزامير : "الجميع يرجونك لترزقهم القوت في حينه ... تحجب وجهك فيفزعون، تقبض

أرواحهم فيموتون والى ترابهم يعودون. ترسل روحك فيخلقون، وتجدد وجه الأرض" (مز ١٠٣: ٢٧-٣٠).

٢ - روح الله يعمل في الملوك والأنبياء

وتؤكد مختلف أسفار العهد القديم أن روح الله هو الذي يعمل في الذين اختارهم ليقودوا شعبه، **كالقضاة والملوك والأنبياء**. فعن عثنئيل يقول سفر القضاة: "وكان روح الرب عليه، فتولّى القضاء لاسرائيل" (قض ٣: ١٠)، وعن شمشون، عندما برز أمامه شبل يزأر في وجهه : "فحلّت عليه روح الرب، ففسخه كما يفسخ الجدي، ولم يكن في يده شيء" (قض ١٤: ٦). وكذلك "حلّ روح الربّ على شاول عندما مسحه صموئيل بالزيت، فأخذ يتنبّأ" (١ ملوك ١٠: ٦). وعندما مسح صموئيل داود "حلّ روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً ... وفارق روح الرب شاول وزعجه روح شرير من لدن الرب" (١ ملوك ١٦: ١٣، ١٤).

إن روح الرب يحلّ على الملوك فيمنحهم قوة إلهية. وكذلك يحلّ على الأنبياء فيجعلهم يعملون ويتكلمون باسم الرب. فنرى ايليا يقوده "روح الرب" (٣ ملوك ١٨: ١٢)، وعند وفاته ينتقل روح الرب الذي كان حالّاً عليه إلى أليشع : "ورآه بنو الأنبياء الذين في أريحا تجاهه، فقالوا : قد حلّت روح ايليا على أليشع (٤ ملوك ٢: ١٥). وميخا النبي يرى في روح الرب قوة لاعلان كلام الرب : "ولكنّي قد امتلأت قوة بروح الرب، وحكماً وبأساً، لأخبر يعقوب بمعصيته وإسرائيل بخطيئته" (ميخا ٣: ٨).

٣ - روح الله في الأزمنة الاخيرة

أمّا الذي سيحلّ عليه روح الرب بشكل دائم فهو المسيح، كما جاء في نبوة أشعيا : "ويخرج قضيب من جذر يسّى وينمي فرع من أصوله. ويستقر عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوّة، روح العلم وتقوى الرب" (أش

٢،١:١١). ويرى أشعيا روح الرب يحلّ على المسيح ليوصل رسالة الرب إلى جميع الأمم : "هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سُرّت به نفسي، قد جعلتُ روحي عليه، فهو يبدي الحكم للأمم، لا يصيح ولا يجلّب، ولا يُسمع صوته في الشوارع، قصبة مرضوضة لا يكسر، وكتاناً مدخناً لا يطفئ. يبرز الحكم بحسب الحق. لا يني ولا ينكسر، إلى أن يجعل الحكم في الأرض، فلشريعته تنتظر الأمم" (أش ٤٢:١-٣)، "إنّ روح السيد الرب عليّ، لأن الرب مسحني لأبشّر المساكين، وأرسلني لأجبر المنكسري القلوب، وأنادي بعتق للمسبيّين وبتخلية للمأسورين، لأنادي بسنة الرب المقبولة" (أش ٦١:١-٣).

وبواسطة المسيح سيحلّ روح الرب على جميع الناس ليسلكوا بحسب وصايا اللّه. وهذا ما يعلنه حزقيال، "نبي الروح" : "أعطيهم قلباً واحداً وأجعل في أحشائهم روحاً جديداً، وأنزع من لحمهم قلب الحجر، وأعطيهم قلباً من لحم، لكي يسلكوا في رسومي ويحفظوا أحكامي ويعملوا بها، فيكونون لي شعباً وأكون لهم إلهاً" (حز ١١:١٩، ٢٠، راجع أيضاً ٣٦:٢٦-٢٨).

وهذا ما يتنبأ به يوئيل للأزمنة المسيانية الأخيرة : "وسيكون بعد هذه أني أفيض روحي على كلّ بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبانكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلاماً. وعلى عبيدي أيضاً وامائي أفيض روحي في تلك الأيام" (يوء ٢:٢٨، ٢٩).

وهكذا لن يعود حلول الروح هبة خاصة بالملوك والأنبياء، بل يعطى لشعب اللّه بأجمعه. وهذا الروح هو الذي سيجدّد قلب الإنسان من الداخل ليحمله على السلوك بحسب وصايا اللّه. فالخاطئ يُحزن الروح القدس : "لكنّهم تمرّدوا وأحزنوا روحه القدوس" (أش ٦٣:١٠). لذلك يطلب المزمور الخمسون : "قلباً طاهراً أخلق فيّ يا اللّه، وروحاً مستقيماً جدّد في أحشائي. لا تطرحني من أمام وجهك، ولا تنزع مني روحك القدوس" (مز ٥٠:١٣). ويقول سفر الحكمة في هذا الصدد : "من علم مشورتك لو لم تؤتِ الحكمة، وتبعث روحك القدس من الأعالي؟" (حك ٩:١٧). وهذا الروح القدس يدخل إلى أعماق الإنسان ويملأه حكمة : " إنّ الحكمة مهندسة كلّ شيء هي علّمتني. فان فيها الروح الفهم

القدوس، المولود الوحيد ذا المزايا الكثيرة، اللطيف السريع الحركة، الفصيح الطاهر النيّر السليم، المحبّ للخير، الحديد الحرّ المحسن، المحبّ للبشر، الثابت الراسخ، المطمئن القدير، الرقيب الذي ينفذ جميع الأرواح الفهمة الطاهرة اللطيفة" (حك ٧:٢١-٢٣).

وهذا الروح لن يترك الإنسان : "هذا عهدي معهم، قال الربّ : روحي الذي عليك وكلامي الذي جعلته في فمك لا يزول من فمك، ولا من فم نسلك، ولا من فم نسل نسلك، قال الرب، من الآن وإلى الأبد" (أش ٥٩:٢١).

والروح الذي سيرسله الربّ في الأيام الاخيرة سيُحيي الأموات، كما جاء في نبوءة حزقيال على العظام اليابسة :

"وكانت عليّ يد الربّ، فأخرجني الرب بالروح، ووضعني في وسط البقعة، وهي ممتلئة عظاماً ... وقال لي : تنبّأ يا ابن البشر، وقل للروح : هكذا قال السيّد الرب، هلّم أيها الروح من الرياح الأربع، وهبّ في هؤلاء المقتولين فيحيوا. فتنبّأت كما أمرني. فدخل فيهم الروح، فحيوا وقاموا على أرجلهم جيشاً عظيماً جداً جداً ... هكذا قال السيد الرب : هاءنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم ... واجعل روحي فيكم فتحيون" (حز ٣٧:١-١٤).

خلاصة القول إنّ الروح في العهد القديم يظهر على ثلاثة أوجه : يظهر أولاً كقدرة حياة تحيي كل خليقة، ويظهر ثانياً في كلام الأنبياء والمعجزات التي يقومون بها باسم اللّه، ويظهر أخيراً كوعد للأزمنة الأخيرة التي فيها سيأتي المسيح ممتلئاً من الروح القدس، وبواسطته سيحلّ الروح القدس على جميع الشعب وفي داخلهم، كقوّة قداسة وينبوع حياة جديدة.

وفي جميع هذه الوجوه، لا يبدو الروح كقدرة مستقلة عن اللّه بل كقدرة مرتبطة باللّه.

وحضوره هو حضور واقعي وسرّي في آن واحد، فاللّه يعمل بواسطة روحه القدوس في قلب العالم، ولكنّه يبقى متعالياً عن العالم.

ثانياً : الروح القدس في العهد الجديد

إن وحدة العمل والكيان بين الآب والابن والروح القدس قد ظهرت في العهد الجديد من خلال عمل الروح القدس في أحداث أساسية من حياة السيد المسيح وحياة الكنيسة الأولى.

١ - الروح القدس

إن ظهور الروح القدس في أحداث حياة السيد المسيح الأساسية يوضح عمل اللّه في تاريخ الخلاص، ويكشف النقاب عن سرّ شخص يسوع المسيح ابن اللّه. وهكذا يظهر الآب والابن والروح القدس في وحدة عمل ووحدة كيان.

أ - **البشارة بميلاد يسوع المسيح** (لو ١:٢٦-٣٨)

يؤكد هذا النص بوضوح أمرين حرص اللاهوت المسيحي على المحافظة عليهما معاً : التمييز بين الآب والابن والروح القدس، أي التثليث، وفي الوقت عينه وحدة العمل والكيان بين الآب والابن والروح القدس، أي التوحيد.

- فالآب هو اللّه الذي اختار مريم العذراء وملأها نعمة لتكون أمّاً لابنه : "السلام عليك يا ممتلئة نعمة، الرب معك" (٢٨)، "لقد نلت حظوة عند اللّه" (٣٠). وهو "الرب الإله الذي سيعطي المسيح عرش داود أبيه" (٣٢). "وهو الذي يرسل روحه القدوس ليحلّ على العذراء ويظلّلها بقدرته لتحبل دون مباشرة رجل" (٣٥)، وهو "اللّه الذي ليس من أمر يستحيل عليه" (٣٧).

- ويسوع الذي يولد من مريم العذراء دون مباشرة رجل، هو ابن اللّه منذ الحبل به، وليس بالتبنّي : "إنه يكون عظيماً، وابن العلي يدعى" (٣٢). وعلى سؤال مريم : "كيف يكون ذلك، وأنا لا أعرف رجلاً؟"، يجيب الملاك : "الروح القدس يأتي عليك، وقدرة العليّ تظلّلك" ثم يردف : "ومن أجل ذلك، فالقدوس الذي يولد منك يدعى ابن اللّه" (٣٥). وابن اللّه هو نفسه المسيح المخلّص ابن داود، الذي "سيعطيه الرب الاله عرش داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب الى الدهر، ولن يكون لملكه انقضاء" (٣٢-٣٣).

- والروح القدس هو روح اللّه وقدرة اللّه، وهو الذي يظلّل العذراء (٣٥). انّ عمل خلاص البشر هو عمل روح القدرة الالهية. وهذا العمل يبدأ منذ الحبل

بيسوع. وفي هذا أيضاً يقول انجيل متى : "يا يوسف ابن داود، لا تخف أن تأخذ امرأتك مريم، فان الذي حبل به فيها انما هو من الروح القدس. وستلد ابناً، فتسميه يسوع، لأنه هو الذي يخلّص شعبه من خطاياهم" (متى ١:٢٠-٢١).

إن مجيء يسوع الى العالم بقدرة روح اللّه في مريم العذراء هو حقاً مجيء اللّه نفسه.

ب - معمودية يسوع (متى ٣:١٣-١٧)

في هذا النص أيضاً تظهر الأقانيم الثلاثة ظهوراً واضحاً : "فلمّا اعتمد يسوع، خرج على الفور من الماء، واذا السماوات قد انفتحت له، ورأى روح اللّه ينزل بشكل حمامة ويحلّ عليه. واذا صوت من السماوات يقول: هذا ابني الحبيب، الذي به سررت" (٣:١٦-١٧).

لقد رأى بعض المبتدعين في هذا المشهد تأييداً لقولهم انّ يسوع هو مجرّد إنسان تبنّاه اللّه يوم معموديته، اذ في تلك اللحظة نزل عليه روح اللّه، وأعلنه الآب ابنه الحبيب. جواباً على هذه النظرة الخاطئة، نقول انّ النصوص الانجيلية يكمّل بعضها البعض الآخر، فيجب ألاّ يؤخذ نص بمعزل عن باقي الانجيل. وقد رأينا في الفقرة السابقة أنّ يسوع حُبل به من الروح القدس، وأنه بالتالي ابن اللّه منذ الحبل به، اي في صميم كيانه، وليس بالتبنّي . وما هذا المشهد سوى اعلان للملأ لما هو عليه يسوع في شخصه، واعلان لرسالته. فله ملء الروح القدس، وهو ابن اللّه في عمق كيانه. فالأقانيم الثلاثة تظهر في بدء حياة يسوع العلنية، منبئة بأن عمل الخلاص الذي سيقوم به المسيح ليس عملاً انسانياً وحسب، بل هو أولاً عمل اللّه في أقانيمه الثلاثة.

ج - يسوع المسيح يعمل عمل اللّه بروح اللّه

ان يسوع المسيح قد عمل في حياته كلها عمل اللّه، وذلك بروح اللّه الذي فيه. وقد تمت في شخصه نبوءات العهد القديم حول مجيء المسيح ابن اللّه الذي سيكون عليه روح الرب، ويعمل أعمال اللّه بهذا الروح عينه.

يروي انجيل لوقا أن يسوع دخل يوم سبت مجمع اليهود في الناصرة، "وقام ليقرأ. فدُفع اليه سفر أشعيا النبي، فلّما نشر السفر وقع على الموضع المكتوب فيه :

روح الربّ عليّ، لأنه مسحني لأبشّر المساكين، وأرسلني لأنادي للمأسورين بالتخلية، وللعميان بالبصر، وأطلق المرهقين أحراراً، وأعلن سنة نعمة للرب. ثم طوى السفر، ودفعه الى الخادم، وجلس. وكانت عيون الذين في المجمع شاخصة إليه بأجمعها. فشرع يقول لهم : "اليوم تمّت هذه الكتابة التي تليت على مسامعكم" (لو ٤:١٦-٢١).

وفي حياته كلها بشّر السيد المسيح المساكين، وشفى المرضى، وأخرج الشياطين بروح الله، حسب قوله للفرّيسيين : "اذا كنت أنا **بروح الله** أخرج الشياطين، فقد اقترب منكم ملكوت اللّه" (متى ١٢:٢٨) .

لا بدّ من الإشارة مجدداً إلى **البنية الثالوثية لأعمال يسوع الخلاصية** : إن ملكوت اللّه يتمّ على يد يسوع المسيح **ابن اللّه**، وذلك **بروح اللّه**.

د - لاهوت الثالوث في انجيل يوحنا

لقد رأينا في الفقرة السابقة كيف يؤكد يوحنا علاقة الابن بالآب منذ مطلع انجيله ... وكذلك في الفصل الأول من انجيله يؤكد علاقة الروح بالآب والابن : "وشهد يوحنا قائلاً: انّي رأيت الروح نازلاً من السماء بهيئة حمامة، وقد استقرّ عليه. فأنا لم أكن أعرفه. الاّ أنّ الذي أرسلني لأعمّد هو قال لي : انّ الذي ترى الروح ينزل ويستقرّ عليه هو الذي يعمّد بالروح القدس. فذلك ما قد عاينت وأشهد أنّ هذا هو ابن اللّه" (١:٣٢-٣٣).

"ان الذي أرسله اللّه ينطق بكلام اللّه، لأن اللّه لا يعطيه الروح بمقدار. الآب يحب الابن، وقد جعل في يديه كلّ شيء" (٣:٣٤-٣٥).

ان **اللّه**، اي **الآب**، يحب **الابن**، وقد جعل كلّ شيء في يديه، وأعطاه **الروح**، "لا بمقدار"، بل بكلّ ملئه. لذلك يستطيع الابن أن يعمّد بالروح القدس. ويفسّر القديس كيرلّس الاسكندري هذا النص بقوله : "ان الابن، الذي له ملء الروح، يعطي الروح من ملئه الخاص".

وهذا ما يشير اليه النص التالي :

"وفي اليوم الأخير العظيم من العيد، وقف يسوع وصاح قائلاً: ان عطش أحد فليأتِ إليّ وليشرب من آمن بي. فكما قال الكتاب : ستجري من جوفه

أنهار ماء حيّ. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه. فالروح لم يكن بعد قد أعطي، لأنّ يسوع لم يكن بعد قد مُجّد" (٧:٣٧-٣٩).

ان الروح سيعطيه يسوع للمؤمنين به بعد تمجيده، أي بعد قيامته. وهذا ما يبيّنه هو نفسه لتلاميذه في حديثه الأخير معهم في العشاء الفصحي. اننا نجد في هذا الحديث توضيحاً لعلاقة الروح القدس بالآب والابن، وأوّل موجز لاهوتي لعقيدة الثالوث الأقدس. يقول يسوع:

" ان كنتم تحبوني تحفظون وصاياي، وأنا أسأل الآب فيعطيكم معزياً آخر ليقيم معكم الى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنّه لا يراه ولا يعرفه، أما انتم فتعرفونه، لأنه يقيم معكم ويكون فيكم" (١٤:١٥-١٧) .

"قلت لكم هذه الأشياء وأنا مقيم معكم، وأمّا المعزي، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو الذي يعلّمكم كل شيء، ويذكّركم جميع ما قلت لكم" (١٤:١٥-٢٦) .

"ومتى جاء المعزي الذي أرسله اليكم من لدن الآب، روح الحق الذي ينبثق من الآب، فهو يشهد لي" (١٥:٢٦) .

"ان في انطلاقي لخيراً لكم. فان لم أنطلق لا يأتكم المحامي، وأما اذا انطلقت فاني أرسله اليكم ... وعندي أشياء كثيرة أقولها لكم، غير أنكم لا تطيقون الآن حملها. ولكن، متى جاء هو روح الحق، فانه يرشدكم الى الحقيقة كلّها، لأنّه لن يتكلم من نفسه، بل يتكلم بما يكون قد سمع، ويخبركم بما يأتي. انه سيمجدني بأنه يأخذ مما لي ويخبركم. جميع ما للآب هو لي، من أجل هذا قلت لكم : انه يأخذ مما لي ويخبركم" (١٦:٧-١٥) .

من هذه النصوص يمكننا استخلاص التعاليم التالية في الثالوث الأقدس :

١) **الروح القدس متميز عن الآب والابن.** فهو ليس شكلاً من أشكال، ولا حالة من حالات الآب والابن. فالابن يسأل الآب أن يرسل الروح. : "وأنا أسأل الآب فيعطيكم محامياً آخر" (١٤:١٦)، "الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي" (١٤:٢٦). والروح يرسله الابن من لدن الآب، وهو في آن معاً ينبثق من الآب : "متى جاء المعزي الذي أرسله اليكم من لدن الآب، فهو يشهد

لي" (٢٦:١٥). فالمقصود اذن ثلاثة أقانيم متميّزة .

٢) **أمّا عن علاقة الأقانيم بعضها ببعض،** فنرى أولاً ان **علاقة الروح بالابن هي على مثال علاقة الابن بالآب.** فكما أنّ الابن يشهد للآب: "انّا ننطق بما نعلم، ونشهد بما رأينا" (١١:٣)، "أنا أتكلّم بما رأيت عند أبي" (٣٨:٨)، كذلك **الروح يشهد للابن** (٢٦:١٥). وكما أن الابن يمجّد الآب : "أنا مجدتكم على الأرض" (٤:١٧)، كذلك الروح سيمجّد الابن : "إنه سيمجدني ..." (١٤:١٦). وكما أن الابن لا يقول شيئاً من نفسه، بل يقول ما حدّده له الآب الذي أرسله" (٤٩:١٢؛ ١٦:٧)، كذلك الروح **"لن يتكلّم من عند نفسه بل يتكلّم بما يكون قد سمع** ... انه يأخذ ممّا لي ويخبركم" (١٣:١٦-١٤). وأخيراً كما أن الابن قد أرسله الآب، هكذا **الروح قد أرسله الابن** (٢٦:١٥ ، ٧:١٦) .

٣) **ان علاقة الروح بالابن لا تنفي أوليّة علاقته بالآب** ، فالابن يرسل الروح، ولكن "من لدن الآب" (٢٦:١٥) . ثم ان الابن يسأل الآب، والآب يسأل الروح، والروح سيمجّد الابن: فيسوع يقول : "يأخذ ممّا لي ويخبركم"، ولكنّه يضيف : "جميع ما للآب هو لي، من أجل هذا قلت لكم : إنه يأخذ ممّا لي ويخبركم" (١٤:١٦-١٥). **فالابن هو ابن الاب، وقد أعطاه الآب كل شيء.** وكذلك الروح "ينبثق من الآب" (١٦:١٥). فالآب هو مصدر ولادة الابن، ومصدر انبثاق الروح.

من هذه النصوص نستنتج أخيراً أن التمييز بين الآب والابن والروح القدس يؤكّده انجيل يوحنا بالانسجام التام مع وحدة العمل ووحدة الكيان بين الآب والابن والروح القدس. وعلى هذا التوازن الدائم بين تمييز الأقانيم في الإله الواحد، ووحدة العمل والكيان الإلهيين، ستستند المجامع المسكونية في القرون الأولى لاعلان عقيدة الثالوث. وعلى هذا التوازن سيستند آباء الكنيسة عندما سيعبّرون عن إيمان العهد الجديد بألفاظ فلسفية كالأقنوم والجوهر. فيتكلمون على أقانيم ثلاثة في جوهر واحد.

٢ – الروح القدس في حياة الكنيسة الأولى

إن عمل الروح القدس في حياة الكنيسة الأولى هو تحقيق لرسالة السيد المسيح ولعمل الثالوث الأقدس في العالم .

أ – حلول الروح القدس على الرسل

إن وعد السيد المسيح لرسله بأنه سيرسل اليهم الروح القدس من لدن الآب قد حققه بعد قيامته. فمنذ ظهوره الأول لهم يوم قيامته منحهم الروح القدس، كما جاء في إنجيل يوحنا : "قال لهم ثانية: السلام لكم. كما أنّ الآب أرسلني، كذلك أنا أرسلكم. ولمّا قال هذا، نفخ فيهم وقال لهم : خذوا الروح القدس. فمن غفرتم خطاياهم غُفرت لهم، ومن أمسكتم خطاياهم أُمسكت" (يو ٢:٢١،٢٢). إنّ سلطان مغفرة الخطايا هو سلطان إلهي. وهذا السلطان قد مارسه يسوع في حياته (راجع مثلاً شفاء مخلع كفرناحوم : متى:٩:١-٨)، لأنّ روح الربّ كان عليه. فالآن، كما أرسله الآب وملأه من روحه، يرسل بدوره تلاميذه ويمنحهم الروح القدس، قدرة الآب وسلطانه الإلهي على منح الحياة الإلهية للناس بمغفرة خطاياهم ومصالحتهم مع الله .

المعمودية

تلك هي المعمودية بالروح القدس والنار، التي يتكلم عنها يوحنا المعمدان في تبشيره بالمسيح: "أنا أعمّدكم بالماء للتوبة، وأمّا الذي يأتي بعدي ... فهو يعمدكم بالروح القدس والنار" (متى ٣:١١). والنار هنا رمز التطهير من الخطيئة. وتلك هي المعمودية بالروح القدس التي وعد بها يسوع تلاميذه قبل صعوده الى السماء: "لا تبرحوا أورشليم، بل انتظروا موعد الآب الذي سمعتموه منّي . فإنّ يوحنا قد عمّد بالماء، أمّا أنتم فستعمّدون بالروح القدس بعد أيام قليلة (أع ١:٤،٥) .

ويروي لوقا في الفصل الثاني من أعمال الرسل كيف تمّت تلك المعمودية بالروح القدس والنار:

"لمّا حلّ يوم الخمسين كانوا كلّهم معاً في مكان واحد. فحدث بغتة صوت

من السماء كصوت ريح شديدة تعصف، وملأ كل البيت الذي كانوا جالسين فيه. وظهرت لهم ألسنة منقسمة، كأنها من نار، واستقرت على كلّ واحد منهم. فامتلأوا كلّهم من الروح القدس، وطفقوا يتكلمون بلغات أخرى، كما آتاهم الروح أن ينطقوا" (أع ٢:١-٤) .

ويفسّر بطرس للشعب أنّ هذا الحدث هو تحقيق نبوءات العهد القديم :

"هذا هو ما قد قيل على لسان يوئيل النبي : وسيكون في الأيام الأخيرة، يقول اللّه، أني أفيض من روحي على كلّ بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبّانكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلاماً. أجل، على عبيدي وعلى إمائي أفيض، في تلك الأيام، من روحي فيتنبّأون ... فيسوع هذا قد أقامه اللّه، ونحن جميعاً شهود بذلك. وإذ قد ارتفع بيمين اللّه، وأخذ من الآب الروح القدس الموعود به، أفاض ما تنظرون وما تسمعون" (أع ٢:١٦-١٨،٣٢،٣٣) .

ثم يطلب بطرس من مستمعيه أن يتوبوا ويعتمدوا لينالوا موهبة الروح القدس:

"توبوا، وليعتمد كل واحد منكم باسم يسوع المسيح لمغفرة خطاياكم، فتنالوا موهبة الروح القدس لأن الموعد هو لكم ولبنيكم، ولجميع الذين على بُعد، بمقدار ما يدعو الرب الهنا منهم" (أع ٢:٣٨،٣٩) .

روح الشهادة

ماذا يعني في الواقع حلول الروح القدس على الرسل؟ وماذا يقصد الرسل بقولهم للشعب: "توبوا واعتمدوا فتنالوا موهبة الروح القدس"؟ كيف تظهر تلك الموهبة ؟ إنّ التلاميذ، قبل حلول الروح القدس عليهم، كانوا خائفين، مختبئين، كما يقول يوحنا، "في منزل أبوابه موصدة خوفاً من اليهود" (يو ٢٠:١٩) . ولمّا حلّ عليهم الروح القدس، طفقوا يبشّرون بالمسيح بجرأة، "ويتكلمون بلغات أخرى" ، أي يبشّرون بالمسيح لجميع الشعوب وفي كل اللغات. ويقول يوئيل في نبوءته التي يذكرها بطرس : "أفيض من روحي على كل بشر فيتنبّأ بنوكم وبناتكم" . والتنبؤ هنا يعني التكلّم باسم اللّه والشهادة للّه .

فالروح القدس الذي حلّ على التلاميذ منحهم أن ينطقوا باسم اللّه ويشهدوا للمسيح. وهذا ما يؤكّدونه أيضاً للشعب : إنّ من يتوب ويعتمد باسم يسوع ينال موهبة الروح القدس، أي إنّ روح اللّه يملأه لينطق باسم اللّه ويشهد للّه وللمسيح. فموهبة الروح القدس هي إذاً الامتلاء من روح اللّه، بحيث لا يعود الإنسان يفكّر بأفكار بشرية وينطق بأقوال بشرية، بل إنّ روح اللّه الذي يملأه هو الذي يفكر فيه وينطق فيه. وروح اللّه هو أيضاً الذي يعمل فيه، لذلك إلى جانب الشهادة للمسيح، نجد الرسل يجرون آيات وعجائب في الشعب: "حتى إنهم كانوا يخرجون بالمرضى إلى الشوارع، ويضعونهم على فرش وأسرّة، ليقع ولو ظلّ بطرس، عند اجتيازه، على بعض منهم. وكان الجميع يبادرون، حتى من المدن المجاورة لأورشليم، حاملين المرضى والمعذّبين بالأرواح النجسة، وكانوا جميعهم يشفون" (أع ٥:١٥،١٦) .

مواهب الروح

إنّ هذه الآيات الخارقة هي مواهب خاصة يمنحها الروح القدس لمن يشاء، كما يقول بولس الرسول :

"كلّ واحد إنما يعطى إظهار الروح للمنفعة العامة. فالواحد يعطى من قبل الروح كلام حكمة، والآخر كلام علم، بحسب الروح عينه، والآخر الإيمان، بذلك الروح عينه، والآخر موهبة الشفاء، بالروح الواحد عينه، وآخر إجراء العجائب، وآخر النبوءة، وآخر تمييز الأرواح. وآخر أنواع الألسنة، وآخر ترجمة الألسنة. وهذه كلّها يفعلها الروح الواحد بعينه، موّزعاً، كيف يشاء، على كل واحد خصوصاً " (١ كو ١٢:٧-١١) .

الحياة المسيحية كلها

إنّ **عمل الروح القدس** لا يقتصر على تلك المواهب الخاصة، بل **يشمل الحياة المسيحية في جميع مرافقها**. ويمكننا رؤية عمل الروح في وصف سفر أعمال الرسل لحياة الكنيسة الأولى. فالمواظبة على تعليم الرسل والشركة في

الصلاة وكسر الخبز، أي القربان المقدس، والشركة في توزيع الخيرات، كلّها من عمل الروح القدس الذي كان يملأ المسيحيين الأوّلين :

"وكانوا مواظبين على تعليم الرسل، والشركة، وكسر الخبز، والصلوات، ووقع الخوف على كل نفس، لأنّ عجائب وآيات كثيرة قد جرت على أيدي الرسل. وكان جميع المؤمنين يعيشون معاً، وكان كلّ شيء مشتركاً فيما بينهم، وكانوا يبيعون أملاكهم ومقتنياتهم، ويوّزعون أثمانها على الجميع بحسب حاجة كل واحد منهم. وكانوا كل يوم يلازمون الهيكل بنفس واحدة، ويكسرون الخبز في البيوت، ويتناولون الطعام بابتهاج وسلامة قلب، ويسبّحون اللّه، نائلين حظوة عند جميع الشعب وكان الرب كل يوم يزيد في الكنيسة عدد المخلصين" (أع ٢:٤٢-٤٧) .

ب - الروح القدس يكوّن الكنيسة

وهكذا يكوّن الروح القدس الكنيسة في كرازة الرسل فيها وانضمام المؤمنين اليها.

سفر أعمال الرسل هو انجيل الروح القدس

لقد رافق الروح القدس الكنيسة منذ نشأتها وفي جميع مراحل نموّها. لذلك دعي سفر أعمال الرسل، الذي يروي نشأة الكنيسة ونموّها، "إنجيل الروح القدس". الروح القدس هو قدرة اللّه التي تدفع بالكنيسة الناشئة "إلى أقاصي الأرض"، حسب قول يسوع لتلاميذه: "إنكم ستنالون قوة بحلول الروح القدس عليكم، فتكونون لي شهوداً في أورشليم، وفي جميع اليهودية والسامرة، وإلى أقاصي الأرض" (أع ١:٨) .

لذلك يقود الروح القدس الرسل في كرازتهم. فالروح هو الذي قال لفيلبس أن يقترب من مركبة قيّم ملكة الحبشة (٨:٢٩) . والروح هو الذي قال لبطرس ألاّ يتردد في الذهاب إلى كرنيليوس قائد المئة، ويفتح أبواب الكنيسة للأمم (١٠:١٩-٢٠) . والروح هو الذي اختار بولس وبرنابا للرسالة (١٣:٢-٤) . ونرى الرسل يصغون لإلهامات الروح القدس في عملهم الرسولي. فبولس وسيلا

"جازا في فريجية وبلاد غلاطية، إذ منعهما الروح القدس أن يبشرا بالكلمة في آسية. ولما انتهيا الى ميسية حاولا أن يشخصا إلى بيثينية، ولكنّ روح يسوع لم يأذن لهما" (١٦ :٦،٧) .

الروح القدس هو سيّد الكنيسة

ويصغي الرسل لإلهامات الروح القدس في قراراتهم. لذلك في إعلانهم ما توصّلوا إليه في مجمع أورشليم بشأن موضوع إخضاع الأمم لشريعة موسى، نسمعهم يقولون: "لقد رأى الروح القدس ونحن" (١٥ :٢٨) .

يدعو سفر أعمال الرسل الروح القدس أحياناً **"روح يسوع"** (١٦ :٧) ، لأنّ الروح القدس هو مواصلة حضور يسوع معهم. فالروح القدس هو الذي يعمل فيهم ما كان يسوع يعمله عندما كان معهم قبل موته وقيامته: التبشير بكلمة الرب، والدعوة إلى التوبة، وإجراء آيات الشفاء. فالرسل يعلّمون باسم يسوع (٤ :١٨)، ويدعون الى التوبة والإيمان، كما كان يفعل يسوع (٢ :٣٨؛٦ :٧)، ويجرون الأشفية والآيات والعجائب باسم يسوع (٣ :٦؛٤ :١٠،٣٠) .

الروح القدس يعمل في الرسل ويعمل أيضاً في المؤمنين، فيجمع الشعب على اختلاف فئاته في جسد واحد هو جسد المسيح، حسب قول بولس الرسول : "إنّا جميعاً قد اعتمدنا بروح واحد لجسد واحد، يهوداً كنّا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وسقينا جميعاً من روح واحد" (١ كو ١٢ :١٣) .

الكنيسة، حسب بولس الرسول، متحدة اتحاداً وثيقاً بالمسيح وبالروح. فالمؤمنون يتبرّرون ويتقدّسون في المسيح وفي الروح (١ كو ١ :٢،٣٠؛٢ كو ٥ :٢١). ويتبرّرون ويتقدّسون أيضاً في الروح القدس (رو ١٤ :١٧) . وكذلك في المسيح وفي الروح القدس يحصلون على السلام والفرح (في ٣ :١،٤ :٧؛ رو ١٤ :١٧) ومحبة اللّه قد أفيضت في قلوبهم في المسيح (رو ٨ :٣٩)، وفي الروح القدس (كو ١ :٨) ويؤكد بولس : "المسيح فيكم" (رو ٨ :١٠)، "روح اللّه ساكن فيكم" (رو ٨ :٩). "والمسيحي هو ابن اللّه بالمسيح وبالروح" (غلا ٤ :٤-٧) .

الروح القدس يجعلنا أبناء اللّه : "لقد أخذتم روح التبنّي، الذي به ندعو أباً! أيها الآب! فهذا الروح عينه يشهد مع روحنا بأنّا أولاد اللّه" (رو ٨:١٥،١٦) . "والدليل على أنكم أبناء، كون اللّه أرسل الى قلوبنا روح ابنه، ليصرخ فيها : أباً! أيها الآب! فأنت اذاً لست بعد عبداً، بل انت ابن، وإذا كنت ابناً، فأنت أيضاً وارث بنعمة اللّه" (غلا ٤:٦-٧). "ان جميع الذين يقتادهم روح اللّه هم أبناء اللّه" (رو ٨:١٤) .

المسيحيون هم أبناء الله وهياكل الروح القدس وأعضاء في جسد المسيح. يقوم عمل الروح القدس في المؤمنين على أنّه يدخل أعماق الإنسان ليجعل منه عضواً في جسد المسيح. لذلك يتكلّم بولس عن سكنى الروح القدس في المؤمنين: "أو ما تعلمون أنكم هيكل اللّه، وأنّ روح اللّه ساكن فيكم؟" (١ كو ٣:١٦) ؛ "أوَ لا تعلمون أن أجسادكم هي هيكل الروح القدس الذي فيكم، الذي نلتموه من اللّه؟" (١ كو ٦:١٩) . أمّا بالنسبة إلى المسيح، فالمؤمنون أعضاء المسيح : "أما تعلمون أنّ أجسادكم هي أعضاء المسيح؟" (١ كو ٦:١٥). الكنيسة ليست جسد الروح القدس، بل جسد المسيح. فالروح القدس هو روح اللّه الذي يسكن في المؤمنين ليوحّدهم بالمسيح، ويدخلهم في علاقة المسيح بالآب.

الروح القدس هو قدرة اللّه الخلاّقة . هو علاقة المحبة التي ، عندما تنسكب في قلوب المؤمنين، تجعل منهم أشخاصاً مرتبطين بعضهم ببعض ومرتبطين باللّه . الروح القدس هو علاقة اللّه بالبشر، والقدرة التي تربط البشر باللّه. كأنّ اللّه، بروحه القدوس، يخرج من ذاته ويتّحد بالناس ليوحّدهم به. بالروح القدس يصير الإنسان واللّه واحداً : "بهذا نعرف أنّا ثابتون فيه وهو فينا : بأنّه قد أعطانا من روحه" (١ يو ٤:١٣) .

وتلك هي الكنيسة : حياة اللّه التي أتت بالمسيح وبالروح القدس تنسكب في قلوب البشر، فتجعلهم أبناء اللّه وهياكل للروح القدس، أي توحّدهم باللّه وتوحّدهم بعضهم ببعض، وتصيّرهم جسداً واحداً للمسيح .

يقول القديس إيريناوس : "كما أن اللّه قد نفخ روحه في الجسد الذي

كوّنه، ليمنح الحياة لكل أعضاء الجسد، هكذا أعطى الروح للكنيسة . وهذا الروح الذي تسلّمته الكنيسة وأعطي لها ونُفخ فيها، هو المبدأ الحيّ للاتحاد الصميم بالمسيح : هو ثبات إيماننا، والسلّم الذي به نرتقي الى الآب . وهو أخيراً، وعلى الأخص، عربون وبذار لعدم الفساد حتى اللانهاية، حيث نُعتق الى الأبد من انحلال الموت وجموده. فحيث الكنيسة هناك أيضاً روح اللّه، وحيث روح اللّه هناك الكنيسة وكل نعمة. والروح هو حق : لذلك فإنّ من لا يشترك في الروح لا يستقي من جوف أمه غذاء الحياة، لا ينال شيئاً من الينبوع الصافي الذي يتدفق من جسد المسيح" (ضد الهراطقة ٣:٢٤،١) .

خلاصة : لماذا نؤمن بالثالوث القدوس ؟

إن السيد المسيح في آخر ظهور له لتلاميذه، حسب انجيل متى قد ترك لهم وصيته الأخيرة، التي توضح لنا هدف رسالته ومعنى الثالوث الأقدس في الإيمان المسيحي والحياة المسيحية. قال لهم:

" لقد دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر" (متى ٢٨:١٨-٢٠) .

لماذا نؤمن بالثالوث الأقدس ؟ نؤمن بالثالوث الأقدس، "بالآب والابن والروح القدس، الإله الواحد"، لأنه هكذا ظهر لنا اللّه في تاريخ الوحي والخلاص: ظهر لنا أباً خالقاً وابناً مخلصاً وروحاً محيياً. إن إيماننا المسيحي بالثالوث الأقدس لا يعني الإيمان بثلاثة آلهة، بل يعني الإيمان بأن الاله الواحد الذي نؤمن به ليس إلهاً في علياء سمائه. انه "محبة"، والمحبة عطاء. واللّه قد أعطى لنا ذاته ومنحنا الخلاص وأشركنا في حياته الإلهية بواسطة كلمته وابنه يسوع المسيح وبواسطة روحه القدوس .

ان إيماننا بالثالوث الأقدس يستند الى اختبار الرسل الذين عاشوا مع السيد المسيح في حياته على الأرض، ثم تراءى لهم حيّاً من بعد قيامته، وأرسل إليهم

الروح القدس من لدن الآب، وآمنوا أنّ الابن والروح القدس هما عطاء الاله الواحد عينه للعالم. ان ما ظهر لنا في تاريخ الخلاص وأعطي لنا حقاً ليس كائناً سماوياً مرسلاً من قبل اللّه، بل هو الاله الواحد نفسه، الذي لم يرسل الينا من ينوب عنه أو يمثّله، بل أتى الينا هو ذاته وكما هو في ذاته. والذي تقبّلناه هو اللّه ذاته وكما هو في ذاته .

" ان عقيدة الثالوث الأقدس ليست مجرّد تفكير بشري يمكن الاستغناء عنه. فبدونها لا يمكننا أن نفهم كيف أن الله هو في آن معاً السرّ المقدس المطلق، البعيد عن الإنسان بعداً لامتناهياً، والاله القريب من الإنسان قرباً مطلقاً في عطاء ذاته للإنسان عطاءً ذاتياً حقيقياً، وذلك في العمق الروحي لوجودنا كما في واقعيّة تاريخنا الجسدي. في هذا يكمن حقاً معنى عقيدة الثالوث الأقدس[1]. هذا ما تعنيه المعمودية باسم الآب والابن والروح القدس الذي تتيح لنا أن نتحد بالله، أن نصل الى الآب بواسطة الابن في الروح القدس .

(١) كارل راهنر في كتاب ظهر له بالألمانية سنة ١٩٧٦، وترجم إلى الفرنسية سنة ١٩٨٣ بعنوان:

Karl Rahner, *Traité fondamental de la foi*, Paris, Centurion, p. 162.

الثالوث القدوس في العقيدة الكنسية

بقلم القمص تادرس يعقوب ملطي

اللّه كما تعرّفه الكنيسة (١)

الإيمان باللّه ليس عقيدة نظرية فلسفية مجردة؛ فاللّه ليس بالكائن الذي يعتزل عالمنا في سمواته، بل هو محبّ البشر ؛ يهبنا معرفته الإلهية الفائقة للعقل لكي ننعم بشخصه، ونختبر حبه، وندرك أبوته. نتلمسه في حياتنا وفي خبرتنا اليومية حتى نراه وجهاً لوجه في الدهر الآتي. إنه يريد أن يكون قريباً منّا جداً، ليجعلنا واحداً معه. بمعنى آخر، يودّ أن يعلن ذاته لنا، لا لكي ننشغل بمجالات نظرية، ولا لكي يفرض سلطانه علينا، وإنما لكي يجتذبنا إليه كما يجتذب الأب الطبيعي أولاده. إننا نجد فيه كل الحب، وهو مصدر الحياة والخلود والمسرة والشبع والمجد الأبدي .

خلال هذه النظرة الإيمانية الاختبارية تسلّمت الكنيسة الأولى معرفة "الحق"، وأدركت سرّ اللّه الثالوث كإعلان إلهي مُقدَّم بنيانها الداخلي ونموها وتمتعها بالمجد السماوي .

الثالوث القدوس في الكنيسة الجامعة

عرفت الكنيسة الأولى الجامعة منذ بدء إنطلاقها، الثالوث القدوس، وكان موضوع شهادتها هو الانجيل المعاش، أي التمتع بخلاص السيد المسيح بكونه

(١) المؤلف : الكنيسة القبطية الارثوذكسية والعقائد : ١. اللّه، ١٩٩١، ص٥.

حمل الله الذي يرفع خطية العالم (يو ١ : ١٩)، الكلمة والابن المتجسد، الذي يهبنا روحه القدوس مجدد طبيعتنا ومقدسها وواهبنا البنوة للّه الآب. فالكنيسة الأولى، في الشرق والغرب، في المراكز المعروفة والقرى البعيدة لم تكن إلاّ ثالوثية الإيمان، تشهد له بحياتها العملية وعبادتها وكرازتها. كانت بالحق امتداداً لكنيسة عصر الرسل حيث رأينا أن أول عظة قدّمها الرسول بطرس في يوم الخمسين كانت ثالوثية هادفة نحو خلاص المستمعين (أع ٢ : ٢٢-٣٦)، وجاءت رسائل القديس بولس تضمّ تسابيح كنسية مستخدمة في العبادة الجماعية في عصره تكشف عن إيمان الكنيسة الثالوثي .

حقاً لم تستخدم الكنيسة في بدء إنطلاقها المصطلحات اللاهوتية مثل : أقنوم، وجوهر، وطبيعة ... إذ لم تكن هناك حاجة ماسّة إليها . فقد انفتح باب الإيمان أمام اليهود لقبول المسيا المنتظر ليملك لا بفكر تعصبي مادي بل ملكوته ملكوت روحي (يو ١٨ : ٣٦)، يُقام في أعماق النفس الداخلية (لو ١٧ : ٢١)، كما انفتح الباب أمام الأمم ليختبروا مع القادمين من اليهود أبوّة الآب الحانية نحو كل البشر بلا تمييز أو محاباة، وخلاص المسيح كلمة الآب وابنه الذي فيه ننال التبنّي، وشركة الروح القدس مجدّد طبيعتنا ومقدسها. بمعنى آخر أقبل اليهود والأمم إلى الإيمان باللّه المخلّص والمُشبع للنفس بفكر ثالوثي بسيط دون حوار لاهوتي بالمعنى الحديث.

هل من ضرورة للمجامع الكنسية وضع قانون إيمان؟

ارتداد بعض اليهود إلى "التهوّد"، بمعنى الرغبة في دخول الأمم إلى الإيمان المسيحي من خلال الشريعة الموسوية بطقوسها الحرفية كالختان وحفظ السبت والتطهيرات الجسدية، وإساءة بعض القادمين من الأمم بثقافات متنوعة لفهم العلاقة بين الآب والابن والروح القدوس دفع البعض إلى تطرفات، إمّا إلى اعتبارهم مجرد أسماء أو أشكال متنوعة لكائن واحد، يقدمها كلما قام بدور معين (السابليانية Sabellianism) أو تجاهل لاهوت الإبن (الأريوسية) أو إنكار لاهوت الروح القدس (أتباع مقدونيوس) وذلك بقصد التشديد على التوحيد،

ظناً أن تأكيد لاهوت الإبن والروح القدوس دعوة إلى وجود ثلاثة آلهة ... هذا ما دفع الكنيسة عبر الأجيال إلى عقد مجامع محلية ومسكونية، غايتها تبادل الخبرات الإيمانية التي تحمل روحاً واحداً بالرغم من اختلاف الثقافات ؛ **ووضع صيغة قانون إيمان مسكوني هو في حقيقته ترجمة لقوانين الإيمان المحلية التي تتسم جميعها بالثالوثية، وترجمة الإيمان الكنسي إلى لغة تناسب العصر.** فالمجامع لم تقدم إيماناً جديداً وإنما أصاغت الإيمان الإنجيلي الرسولي بلغة تناسب العصر. وفي هذا كلّه تؤكد الإيمان المسيحي كحياة مُعاشة وليس كجدلٍ تجريدي عقلاني بحت .

تساؤلات

الآن، إذ نستعرض الإيمان كعقيدة كنسية مُعاشة نجيب عن التساؤلات التالية:

١ – ما هو مفهوم الإيمان باللّه في العقيدة الكنسية؟

٢ – هل عاشت الكنيسة الجامعة–في الشرق والغرب – تحمل إيماناً ثالوثياً واحداً؟ أم جاء هذا الإيمان وليد المجمع النيقوي عام ٣٢٥ م، ومن وضع الأساقفة؟

٣ – هل دخل الأمم إلى الإيمان المسيحي يحملون إلى الكنيسة أفكارهم النابعة عن ثقافات متنوعة؟ أم ترجمت الكنيسة إيمانها بلغة تناسب ثقافاتهم؟

٤ – ماذا هدفت الكنيسة في جهادها للحفاظ على الإيمان الثالوثي دون انحراف عن الوحدانية؟ كيف التزمت بعدم التطرّف ؟

٥ – ما هي نظرة آباء الكنيسة واللاهوتيين إلى المصطلحات اللاهوتية ؟ هل غيّرت المصطلحات اللاهوتية شيئاً عن كمال الإعلان الإلهي في الكتاب المقدس ؟

٦ – أخيراً، كيف عاشت الكنيسة تحفظ وديعة الإيمان الثالوثي بحزم شديد لتترجمه مع كل جيل جديد بلغته حتى يعيشه ويختبره كحياة تمس أعماقه وليس تراثاً فكرياً قديماً مجرداً.

ما أودّ توضيحه هنا هو أن عرضنا للإيمان باللّه الواحد الثالوث عبر الأجال لا يعني سرداً تاريخياً مجرداً، ولا تبريراً لاستخدام مصطلحات لاهوتية معينة، وإنما غرضه الأول هو الكشف عن نظرة الأجيال إلى الإيمان كحياة وخبرة تبقى معاصرة لا تقدُم ولا تشيخ ... تقدمها الكنيسة بالفكر الإنجيلي الحيّ في لغة معاصرة يفهمها الباحث عن الحق، والمشتاق إلى التمتع بعمل اللّه في حياته، والمهتم بأبديته. هذا وان كثيراً من التساؤلات الخاصة بالثالوث التي تُثار في ذهن الإنسان المعاصر هي بعينها أُثيرت عبر الأجيال بطريقة أو بأخرى، ويوجد في فكر الكنيسة الإنجيلي الآبائي إجابات مشبعة بنّاءة .

الإيمان الثالوثي في عصر ما بعد الرسل

لعل ما وصل إلينا كأول عظة مكتوبة بعد الرسل يكشف لنا عن مفهوم الكنيسة الأولى للإيمان الثالوثي : [يلزمنا أيها الأخوة أن نفكر في يسوع المسيح بكونه اللّه ديّان الأحياء والأموات. فإنه يليق بنا ألاّ نحط من شأن خلاصنا، لأننا إذ نقلل من شأن (المسيح) نتوقع أيضاً أن ننال أقل][٢].

لم يكن الإيمان فكرة تجريدية، ولا مصطلحات لاهوتية عقيدية، وإنما خبرة حياة يلمسها المؤمن في حياته وفي كيانه. نقرأ بلغة العصر ما وراء سطور العظة السابقة لنقول بأنه ان لم يكن اللّه ثالوثاً لكان التجسد أسطورة، وبالتالي فليس من تجديد لطبيعتنا البشرية وتمتع بعمل المسيا كخالق ومخلّص، لننعم بصورته ونمارس شركة الطبيعة الإلهية .

الآباء الرسوليون

لم يشرح الآباء الرسوليون الإيمان الثالوثي، لكنهم تحدثوا عن عمل الآب

(٢) Jaroslav Pelikan, *The Christian Tradition: 1. The Emergence of the Catholic Tradition (100 - 600)*, [2 Clem. 1:1-2 (Bihlmeyer 71)], 1971, p. 173.

والابن والروح القدس ممّا يؤكّد أن الإيمان الثالوثي كان حقيقة مستقرة في أذهان المؤمنين، خلال التمتع الحيّ بعمل الآب والابن والروح فيهم .

لم يذكر **القديس اكليمندس الروماني** [٨٠ (٩٢-١٠١)؟]كلمة "الثالوث" لكنه تحدث عن الآب والابن والروح القدس ...

[لقد بسطتم أيديكم وأنتم مملوئين مقاصد مقدسة ... **نحو الله ضابط الكل**][٣] [الآب كلي الرحمة الرؤوف يتحنن على خائفيه][٤].

[إن كان **الرب** قد تواضع هكذا فكم بالحري يليق بنا نحن الذين به نحمل نير نعمته ؟!][٥].

[بالروح القدس تكلم خدام نعمة الله عن التوبة][٦].

[أليس لنا إله واحد، مسيح واحد، روح نعمة واحد ينسكب علينا؟][٧].

[إقبلوا نصيحتنا فلن تندموا.

إذ حيّ هو اللّه، وحيّ هو يسوع المسيح ربنا، وحيّ هو الروح القدس الذي فيه إيمان المختارين ورجاؤهم...][٨].

محور لاهوت **القديس اغناطيوس النوراني**، (١١٠م) هو **"المسيح المخلّص"**[٩]، فمن كلماته : [تطلع إلى ذاك الذي هو فوق الزمن، غير الخاضع للزمن ولا منظور، الذي لأجلنا صار مرئياً، غير الخاضع للألم صار لحسابنا خاضعاً للألم، محتملاً كل شيء لأجلنا][١٠].

---

(٣) Cor. 1: 22:2

(٤) *Ibid* 1:23:1

(٥) *Ibid* 1:16:17

(٦) *Ibid* 1:8:1

(٧) *Ibid* 1:46:6

(٨) *Ibid* 1:58:2

(٩) المؤلف، **المدخل في علم الباترولوجي** : الآباء الرسوليون، اسكندرية ١٩٩١، ص ٩٥.

(١٠) Polycr. 3:2

ومما يسترعي الإنتباه تكراره التعبير : "اللّه الآب والمسيح"[١١] أو ما يعدلها، معلناً وحدة الآب مع الابن لا كعقيدة فكرية مجردة، إنما تمس حياتنا وغايتنا ورجاءنا في السماء، غير أنه لا يخلط بين الآب والابن بل نجد تمايزاً واضحاً دون انفصال[١٢] .

[اعتبرتم نفوسكم كحجارة هيكل اللّه أعدّت لبناء اللّه الآب، وارتفعتم الى فوق بأداة رافعة ليسوع المسيح أي بالصليب، وبحبل الروح القدس][١٣].

[اثبتوا إذاً على تعليم الرب والرسل، لتنجحوا فيما تعملون ... في الإبن والآب والروح، في البداية والنهاية][١٤].

صلى **الشهيد بوليكاربوس** (١٥٥/١٥٧ م) :

[لهذا أحمدك على كل شيء، وأباركك، وأمجدك خلال رئيس الكهنة السرمدي السماوي، يسوع المسيح، ابنك الحبيب، الذي له المجد معك ومع الروح القدس، الآن وكل أوان ...][١٥].

الإيمان الثالوثي في القرن الثاني

تشهد قوانين الإيمان المحلية الخاصة بالعماد في الشرق والغرب، وأيضاً الليتورجيات للإيمان الثالوثي كحقيقة إيمانية معاشة، نذكر على سبيل المثال **"تسبحة للمساء"** ترجع غالباً إلى القرن الثاني:

[النور المفرح الذي للمجد المقدس

---

(١١) Philad. inscr. 1:1, 3:2; Polyc. inscr; Ephes, inscr; 21:2; Magnes, inscr. ؛Trail 1:1, Smyr. inscr.

(١٢) المؤلف : **الآباء الرسوليون**. ص ١٠٢، ١٠٣ .

(١٣) Ephes. 9:1

(١٤) Magn. 13:1

(١٥) The martyrdom of St. Polycarp 14:3

للآب غير المائت،
السماوي، الطوباوي، القدوس،
يسوع المسيح !
يأتي مع غروب الشمس،
فيرى نور المساء .
نسبّح الآب والابن
وروح اللّه القدوس][١٦].
وجاء في دفاع **أرستيدس الأثيني** Aristides of Athensحوالى (١٤٠ م) :
[يرجع أصل المسيحيين إلى الرب يسوع المسيح،
هذا الذي نزل من السماء في الروح القدس،
لأجل خلاص البشر،
يعترف به أنه ابن اللّه العلي ...
هؤلاء الذين فوق كل بشر على الأرض يجدون الحق : إذ يعرفون اللّه، خالق كل الأشياء وصانعها، في الابن الوحيد الجنس، والروح القدس][١٧].
ويقول **القديس الشهيد يوستين** (١٠٠/١١٠-حوالى ١٦٥ م) في دفاعه:
[تدعوننا ملحدين، حسناً، نحن بالحقيقة نعلن أننا ملحدون بالنسبة لهؤلاء الذين تدعونهم آلهة، ولكن ليس بالنسبة للّه الكلي الحق، آب البر ... بالعكس نحن نكرمه ونعبده مع الابن الذي جاء من عنده ... والروح النبوي. نخضع لهم بالعقل والحق][١٨].
ويقارن الشهيد يوستين بين الميلاد الأول الذي يتمّ خلال زواج الوالدين بغير إرادتنا، فننال خبرة الشر والعادات الخاطئة في جهالة، والميلاد الثاني الذي يُدعى استنارة، والذي يتحقق في المياه لغفران الخطايا السابقة، حيث ننعم بميلاد جديد

---

(١٦) M.J. Routh, *Requilial sacral.* vol 3, p 515; W.A. Jurgens, *The Faith of the Early Fathers*, 1970, vol 1, p 46
(١٧) Apology 15
(١٨) Apology 1:6

باسم الآب سيد الكل، ويسوع المسيح الذي صلب في عهد بيلاطس بنطس، والروح القدس الذي تنبأ خلال الأنبياء عن كل ما يخص يسوع[١٩] .

وفي حديثه عن الافخارستيا يقول : [يسبّح ويمجد آب الكل، خلال اسم الابن والروح القدس][٢٠].

وفي دفاع **اثيناغوراس الفيلسوف** مدير مدرسة الاسكندرية (حوالى ١٨٠ م) عن المسيحيين بأنهم ليسوا ملحدين أكد إيمانهم بوحدانية اللّه الثالوث :

[نعرف إلهاً واحداً ... الذي به قد جاء كل شيء إلى الوجود خلال "كلمته"، وصار الكل تحت تدبيره محفوظاً.

نعترف أيضاً بابن اللّه . فلا يظنّ أحد أنه أمر مضحك أنه يجب أن يكون للّه ابن ... **ابن الله هوكلمة الآب، في الفكر والفعل**؛ إذ فيه وبه كوّن كل شيء، لأن الآب والابن هما واحد. فالابن هو في الآب والآب هو في الابن في وحدة الروح وقدرته. إن ابن الآب هو عقل الآب وكلمته ... إنه ولد من الآب، لا بمعنى انه صنع. فاللّه، منذ البدء هو عقل أزلي، وبما أنه عاقل منذ الأزل، كان معه كلمته (الذي هو عقل اللّه) ...

الروح القدس أيضاً، الذي يعمل في الذين ينطقون نبوياً، نعتبره فيض الله (الآب)، يفيض منه ويعود اليه شعاع الشمس ... وهم متحدون في القوة][٢١].

ويعتبر **القديس ثيؤفيليس أسقف انطاكية** (حوالى ١٨٥-١٩١ م) أول من استخدم تعبير "الثالوث" عن اللاهوت .

[الأيام الثلاثة قبل خلقة الأنوار الثلاثة هي على مثال الثالوث ... اللّه وكلمته وحكمته][٢٢].

أمّا **القديس ايريناؤس اسقف ليون** (١٤٠-٢٠٢ م) فكتب في الإيمان الثالوثي ضد الغنوصيين الذين كانوا يسعون إلى معرفة اللّه خلال العقل المجرد

---

(١٩) *Ibid* 1:61

(٢٠) *Ibid* 1:65

(٢١) Supplication for the Christians, 10, 24

(٢٢) To Autolycus 2:15

خارج دائرة الإيمان. هؤلاء كانوا يفرّقون بين الاله الأسمى البعيد عن الكون **والذي لا علاقة له بأي كائن**، والاله الأدنى الذي انبثق عن الإله الأسمى، وسقط بالتالي من جور الالوهة، وبه خلق الإله الأسمى الكون، فالخالق هو إذاً – في نظرهم – الإله الأدنى .

١ – يؤكد أنه يمكننا بلوغ الإيمان الثالوثي خلال تمتعنا بتدبيره الخلاصي :

[ان الكنيسة، وان تكن منتشرة في العالم كله حتى أقاصي الأرض، وقد تسلمت من الرسل وتلاميذهم الإيمان باله واحد، آب ضابط الكل خالق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، وبيسوع المسيح الواحد، ابن اللّه، الذي تجسد لأجل خلاصنا، وبروح قدس واحد معلناً بالأنبياء تدابير ... ربّنا المسيح يسوع الحبيب ... هذه هي الكرازة التي تسلمتها الكنيسة، وهذا هو الإيمان، كما سبق وقلنا؛ ومع أنها منتشرة في العالم أجمع، فهي تحافظ علي تلك الكرازة بكل عناية، كما لو كانت تقيم في منزل واحد، وتؤمن بها باتفاق، كما لو كان لها نفس واحدة وقلب واحد؛ وبوحدة رأي تكرز بها وتعلمها وتسلمها كما لو كان لها فم واحد][٢٣].

٢ – أكّد الوحدانية ...

[لا يحتاج اللّه الى آخرين ليتمّم ما قد دبره بنفسه ... فمعه على الدوام الكلمة والحكمة، الابن والروح، بهما وفيهما خلق كل الأشياء حرّة ... ولهما يقول : "لنخلق الإنسان على صورتنا ومثالنا" (تكوين ١:٢٦)][٢٤].

[يسر الآب ويأمر، والابن يعمل ويخلق، والروح يغذي وينمي، ويتقدم الإنسان رويداً ويرتقي الى الكمال ؛ أي يقترب من اللّه غير المخلوق][٢٥].

قيل عن **القديس اكليمنضوس الاسكندري** إنه أول كاتب مسيحي زوج

(٢٣) Adv. Haer. 1:10:1, 2

(٢٤) *Ibid* 4:20:1

(٢٥) *Ibid* 4:38

الإيمان بالفلسفة، فقد حسب ان ما ورد في الفلسفات القديمة من حق جزئي هو عطية الهية وهبت للأمم لتهيئتهم لقبول الإيمان الحق. ومع تعاطفه الشديد مع الفلسفة بقي أميناً كل الأمانة للإيمان كما يقدمه لنا الإعلان الإلهي في الكتاب المقدس، إذ يقول :

[اللّه لا يترك بمعرفة بشرية قائمة على حقائق معروفة مسبقاً، إذ لا يوجد شيء يقدر أن يسبق الكائن الواجب الوجود بذاته. ما يتبقى إذاً هو أنه يمكن فهم غير المدرك فقط **بالنعمة الالهية وبالكلمة الصادرة عنه**](٢٦).

يجيب القديس اكليمنضوس عن التساؤل المعاصر كيف يمكن أن يكون الواحد ثلاثة؟ ونحسب الثلاثة واحداً ؟ بالقول ان الله فوق الأرقام، حينما نقول إنه واحد لا نخضعه لقواعد حسابية بشرية، فان [اللّه واحد، ويتعدى الواحد، وفوق الوحدانية ذاتها](٢٧).

منذ بدء انطلاق المسيحية قبِلَ المؤمنون ببساطة المخلص بكونه اللّه القادر أن يُكفّر عن خطاياهم (١ يو ٢:٢) ؛ والروح القدس اللّه القادر أن يهبهم الشركة وتجديد الطبيعة البشرية (تي ٣:٥)، وبعد ذلك ظهرت مشكلة التوافق بين الإيمان باللّه الواحد الذي تؤكده المسيحية وقبول لاهوت الآب والابن والروح القدس ... هل يمكن للواحد أن يكون ثلاثة؟ وللثلاثة أن يكونوا واحداً ؟

تصدى الآباء لهذه المشكلة ليوضحوا أن "واحداً" لا يعني رقماً حسابياً بل "وحدة" لا يُنطق بها.

ويُلاحظ أن الكلمة اليونانية Triandanes تعني "الثالوث مع وحدانية" وهو تعبير يصعب ترجمته في كلمة واحدة في اللغة العربية أو غيرها من اللغات الحديثة.

أول من استخدم تعبير "الثالوث" صراحة هو **القديس ثيؤفيلوس اسقف انطاكية** (٢٨) كما استخدم التلميح قبله في مقتطفات من ثيؤدوتيوس Excerpts

---

(٢٦) Stromata 5:12:82

(٢٧) Paedagogos 1:8:71

(٢٨) G.L. Prestige , *God in Patristic Thought*, 1952, p. 93

from Theodotus[٢٩].

أمّا العلاّمة ترتليان [١٥٥/١٦٠-٢٤٥/٢٥٠ م]، فيعتبر أول من أسّس علم اللاهوت في الكنيسة الغربية، مستخدماً ألفاظاً لاهوتية مثل "الثالوث[٣٠] Trinitas باللاتينية، و "جوهر" Substantia و "شخص" Personae. عُرف بعمقه وتأكيده على وجود ثلاثة أقانيم (Persnae) في الالوهة الواحدة Tres personae unius divinitatis. لكن بسبب تأثُّره بالفلسفة الرواقية الحلولية ينقصه التوازن والإنسجام في الربط بين التثليث في الأقانيم والوحدة في جوهر الألوهة، إذ يرى البعض في عباراته نوعاً من التبعية أو الدرجات في اللاهوت subordination، أي أن الآب أعظم من الابن، والابن أعظم من الروح القدس من جهة اللاهوت .

[احفظ على الدوام في ذهنك قانون الإيمان الذي أعترف به، والذي به أحمل شهادة إن الآب والابن والروح غير منفصلين عن بعضهم البعض ... لاحظ الآن أنني أقول ان الآب هو آخر، والابن آخر، والروح آخر. هذا القول يسيء فهمه من كان غير متعلم أو يميل الى الإنحراف، إذ يظنه إختلافاً، ويحسب الاختلاف انفصالاً للآب والابن والروح القدس] .

[يدعو (المسيح) الباراقليط "آخراً" (يو١٤:١٦ ...) فمع أن الثلاثة واحد (١ يو ٥:٧) لكنهم في نفس الوقت ليسوا واحداً، فإن القول : "أنا والآب واحد" (يو ١٠:٣٠) يخصّ وحدة الجوهر، لا فردية العدد][٣١].

يعتبر **العلاّمة اوريجانوس** (١٨٥ - ٢٥٣/٢٥٤ م) أول من وضع نظاماً للاهوت في الشرق، كما ساهم في وضع المصطلحات اللاهوتية، لكن ليس بهدف تجريدي، وإنما بغية كشف الله عن ذاته لمحبوبه الإنسان، موضع تقديره واعتزازه، ليدخل معه في علاقة حب متبادلة خلال تقديس حرية إرادته. يقول : "الله ليس موضوع فضول بشري؛ وإنما هو كائن حر ذو سلطان **يهب ذاته ليكون**

---

(٢٩) *Ibid*

(٣٠) Against Praxeas 2:1

(٣١) *Ibid* 9:1' 25:1

معروفاً لكائن مخلوق له تقديره لدى الله لتتكامل شخصيته،ينتظر الله أن يرتبط معه بعلاقة حرّة بكامل إرادته. يجمع هذا الإيمان البشر من الشرق والغرب والشمال والجنوب في معرفة الله](٣٢).

أجاب عن كثير من التساؤلات المعاصرة الخاصة بالإيمان الثالوثي، مثل : هل يمكن لله أن يلد؟ ففي اختصار يقول : [يستحيل تصوّر نور بدون بهاء](٣٣).

اتهمه البعض أنه انحرف قليلاً إلى التبعية أو الدرجات في اللاهوت subordination، وإن كان بعض الدارسين يرفضون ذلك. فقد نادى بالمساواة في جوهر الالوهة بين الأقانيم الثلاثة وأزلية الابن والروح مع الآب :

[كما أن النور لا يمكن أن يكون دون بهاء، كذلك الابن لا يمكن أن تنظر إليه منفصلاً عن الآب؛ وهو الذي ندعوه ختم الجوهر، والكلمة، والحكمة ... هذا كله من جوهر الله الآب ولا يمكن أن ينزع عنه، ولا أن يفصل عن جوهره](٣٤).

يعتبر **العلامة اوريجانوس** هو أول من بدأ يميّز في المعنى بين "الأقنوم (hypostasis" والجوهر (أوسيا) بغاية الوضوح في العالم كله(٣٥).

(٣٢) Comm. on the Proverbs. PG 17:229

(٣٣) In Hebr. Frag. 24

(٣٤) De Principiis IV, 28. PG 11:403

(٣٥) Origen, in John 2:6:10 - 75

الإيمان الثالوثي في الطقس الكنسي

لما كان الإيمان الثالوثي يمثل حياة معاشة ينعم بها المؤمن في كل جوانب حياته، فقد ارتبط هذا الإيمان بالطقس الكنسي منذ العصر الرسولي. لهذا أوصى السيد المسيح تلاميذه قبل صعوده : "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم واعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به" (متى ٢٨: ١٩-٢٠).

كان الموعوظون يقبلون على التمتع بسرّ العماد للتمتع بالنبوة لله الآب والشركة مع السيد المسيح ونوال عطية الروح القدس ...

يكشف لنا "التقليد الرسولي The Apostolical Tradition" للقديس هيبوليتس (٢١٥ م) عن أن الإيمان الثالوثي يمثل خطاً رئيسياً في الطقس الكنسي في القرن الثالث.

ففي **سرّ العماد**(٣٦) يضع الاسقف يده على رأس طالب العماد ويسأله عن إيمانه الثالوثي كعنصر جوهري لقبوله المعمودية :

- اتؤمن بالله الآب الضابط الكل ؟ وبعد إجابته بايجاب يغطسه في الماء ليضع يده على رأسه ...
- أتؤمن بيسوع المسيح ابن الله ...؟ ويكرر ما سبق .
- أتؤمن بالروح القدس ... ؟

وفي **سيامة الاسقف** يصلّي :

[يا الله أبو ربّنا يسوع المسيح، أب المراحم وإله كل تعزية ... اسكب الآن تلك القوة التي من عندك، من روحك الملوكي](٣٧).

ويظهر الإيمان الثالوثي بأكثر وضوح في **سر الإفخارستيا** حيث غالباً ما تقدم

(٣٦) The Apostolic Tradition 21

(٣٧) *Ibid* 2

الصلوات للآب، طالبين حلول الروح القدس على القرابين وتحويلها إلى جسد المسيح ومعه .

الكنيسة في مواجهة الشكلانية والتبعية

لما كان الإيمان الثالوثي فائقاً للعقل البشري وان كان غير مضاد له، يتعرف عليه الإنسان خلال إعلان اللّه نفسه عن ذاته، لهذا لا نعجب ان تمسكت الكنيسة الجامعة به كأساس إيمانها وعبادتها وحياتها اليومية وموضوع رجائها في الدهر الآتي، وقد رأت فيه توافقاً عجيباً مع الوحدانية. غير ان البعض وقد حاولوا تأكيد الوحدانية المطلقة انجرفوا الى احد تيارين خطيرين، هما الشكلانية والتبعية.

١ - **الشكلانية او الانتحالية أو السابليانية** نسبة الى سابيليوس الذي أراد تأكيد وحدانية الله المطلقة فأنكر التمايز بين الأقانيم، مدّعياً ان الثالوث القدوس أقنوم واحد ظهر في ثلاثة أشكال مختلفة خارجية. ظهر بكونه الآب في العهد القديم وهو بعينه تجسّد في العهد الجديد بكونه الابن، وعندما حلّ على الكنيسة دعي روح القدس، اي ذات واحدة وثلاثة أسماء أو ثلاثة أفعال .

٢ - التبعية أو الدرجات في الالوهة. يميل هذا الرأي إلى رفض المساواة بين الأقانيم، فيعتبر الآب وحده هو الله الحقيقي، أمّا الابن والروح القدس فليسا من جوهر الآب الواحد. اذ نادى البعض بالتبنوية أي ان الله تبنّى الابن واتحد به كلمة اللّه اتحاداً عرضياً، بينما نادى الآريوسيون بأن الكلمة كائن وسط بين اللّه والخلائق .

لقد عالج آباء القرن الثالث هذين الاتجاهين، نذكر على سبيل المثال :

١ - يعلن **الشهيد كبريانوس** (حوالى ٢٥٨م) رفضه معمودية الهراطقة الذين ينكرون لاهوت السيد المسيح أو الروح القدس، لأن مثل هؤلاء الذين يقبلون "الشكلانية" أو " التبعية" انما يحرمون أنفسهم من عمل الابن الخلاصي وشركة الروح، لهذا تحسب معموديتهم كأن لم تكن ... أي يحسبون عاجزين عن تميم العماد .

[لو ان احداً استطاع ان يعمد بواسطة هراطقة، لاستطاع بالتأكيد أن يتقبل

غفران الخطايا . وإذا كان قد نال غفران الخطايا يتقدس . وإذا تقدس يصير هيكلاً لله . وإذا صار هيكلاً لله- أسألك : لأي اله؟ أللخالق ؟ هذا غير ممكن لأنه لا يؤمن به . أللمسيح ؟ من ينكر أن المسيح هو الله لا يقدر أن يصير هيكله ؟ أللروح القدس إن كان الثلاثة واحداً، كيف يمكن للروح القدس أن يصالحه معه وهو عدوّ إمّا للابن وإما للآب ؟][٣٨].

يوضح **القديس ديونيسيوس الاسكندري** (حوالى ٢٤٨-٢٦٥ م) الجوهر الواحد والثلاثة أقانيم، مؤكداً وحدانية اللاهوت في الجوهر وتثليث أقانيمه، وان الثالوث يؤكد بساطة الله الأزلي :

[من الضروري الإيمان **بالكائن العاقل الحيّ**، جوهر واحد، بسيط، أزلي، لأن الثلاثة غير منفصلين، ولم يوجد أحدهم قبل الآخرين . إنهم كالنار التي لها لهيب ونور وحرارة في ذات الوقت . هكذا نفهم أن **الوحدانية غير متجزئة الى ثالوث، بالعكس يجتمع الثالوث دون فقدان للوحدانية**][٣٩].

[لم يوجد زمن ما ، لم يكن فيه اللّه هو آب... اللّه على أي الاحوال هو نور سرمدي بلا بداية ولا نهاية .ومن ثم في البهاء أمامه سرمدي كائن معه،بلا بداية، ولادته دائمة، مشرقة في حضرته][٤٠].

هكذا يقدم لنا القديس ديونيسيوس الإيمان الثالوثي مجيبا عن بعض تساؤلات المعاصرين خلال رده على السابليانية Sablianism :

١ - هل يمكن للإيمان الثالوثي أن يتناغم مع إيماننا بوحدانية الله وبساطته؟ الإجابة: اننا لا نؤمن بثلاثة جواهر إلهية بل بجوهر إلهي واحد .

وفي الوقت نفسه لا يمكن قبول أقنوم واحد، لأن الكينونة غير العقل غير الحياة، وإن كان لا انفصال للواحد عن الآخرين، ولا يسبق الواحد الآخرين في الزمن . تدعى الكينونة الالهية "الآب" لأنها مصدر الابن والروح القدس، ويدعى العقل الالهي أو الكلمة العاقل أو العقل الناطق Logos "الابن"، وهو أزلي لأنه

---

(٣٨) Ep. to Jubaianus, a bishop in Mauretania, 73:12

(٣٩) On the Opinion of Dionysius 17

(٤٠) St. Athanasius: De Sentia Dionysii 15

لم يكن اللّه قط دون عقله الناطق أو نطقه العاقل، هذا الكيان العاقل هو حيّ أزلياً، حياته منبثقة منه وليست خارجاً عنه .

٢ - هل يمكن للّه ان يلد ؟

يقول : [كتب ان يسوع المسيح هو "بهاء مجده ورسم جوهره" (عب ١:٣ ...) كما أن النور موجود دائماً، فواضح أن البهاء أيضاً يوجد معه على الدوام. فبوجود البهاء يوجد النور، وبالتالي لا يوجد نور لا يعطي نوراً](٤١).

كأنه يجيب بأن الولادة ليست كما يظنها البعض أنها من زرع بشر، لكنها ولادة البهاء من النور، غير المنفصل عن ولا وجود للواحد دون الآخر . أو كأنه يقول إننا لا نقدر أن نقبل فكرة أن الله كائن جامد غير قادر على العطاء، فالنور لا يمكنه الاّ أن يلد بهاءً وإلا حسب ظلاماً ؛ حاشا للّه ! كل جوهر فعّال يلد شيئاً، فالنار تلد ضوءًا وتبعث حرارة، والعنصر المشع يلد طاقة نووية، والعقل الحكيم يلد افكاراً متزنة !

هكذا نرى إيمان الكنيسة عبر القرون الثلاثة الأولى، قبل انعقاد أول مجمع مسكوني (٣٢٥ م) هو إيمان ثالوثي حق، تعيشه الكنيسة الجامعة اينما وجدت . وإن وجدت بعض الهرطقات فهي غريبة ومتعارضة فيما بينها .

شرحت العقيدة الثالوثية عبر الأجيال لا كتطور فلسفي لها، وإنما كايضاحي وتجلي لها كلما أثيرت تساؤلات، فهي لم تتطوّر عبر الزمن وإنما تشرح حسب ما ظهرت تساؤلات، فيزداد تعرفنا بها وخبرتنا معها .

---

(٤١) Ep. to Serapion of Thmins 1:28

الإيمان الثالوثي عند القديس اثناسيوس (حوالى ٢٩٥ - ٣٧٣ م)

١ - يدّعي البعض أن الإيمان الثالوثي هو من وضع مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م وضعه الأساقفة خاصة اثناسيوس (الذي لم يكن بعد قد سيم أسقفاً)، وقد رأينا في الصفحات السابقة أن الإيمان الثالوثي **هو خط الكنيسة الجامعة الواضح منذ بدء نشأتها**. لهذا يقول البابا اثناسيوس : [لنلاحظ أن تقليد الكنيسة الجامعة منذ البداية وتعليمها وإيمانها الذي سلّمه الربّ قد كرز به الرسل وحفظه الآباء . على هذا (الأساس) وجدت الكنيسة، ومن يترك هذا لا يكون مسيحياً ولا يدعى هكذا. يوجد الثالوث القدوس الكامل، يعرف أنه الله في الآب والابن والروح القدس، لا يختلط به شيء غريب أو خارجي ... قائم في ذاته، غير منفصل في طبيعته، عمله (نشاطه) واحد . يعمل الآب كل شيء بالكلمة في الروح القدس](٤٢).

٢ - يرى البابا اثناسيوس كغيره من الآباء أن **الإيمان الثالوثي له جذوره حتى في العهد القديم**، فيقول : [عندما يمجد السرافيم اللّه يقولون ثلاث مرات "قدوس، قدوس، قدوس ربّ الصباؤوت" (اش ٦:٣)، انهم يمجدون الآب والابن والروح القدس](٤٣).

٣ - ان كان البابا اثناسيوس قد كرّس كل طاقته للدفاع عن لاهوت الابن ضد الآريوسيين، وعن لاهوت الروح القدس في رسائله الى القديس سيرابيون، فإنه في الحقيقة لم يكن يهوى الجدل اللاهوتي ليعيش في أفكار فلسفية تجريدية، وإنما كان يتطلع إلى اللّه الواحد الثالوث **كمصدر شبع داخلي لكل خليقة عاقلة،**

(٤٢) Incarnation of the Word of God. 10

يرى القديس إيريناؤس الثالوث في العهد القديم : "بكلمة الرب تأسّست السموات وبروح فيه كل قوتها" مز ٣٢ (٣٣):٦ (Adv. Haer 1:22:1)

وان اللّه وكلمته وحكمته، أو الآب والابن والروح القدس ينطقون بصيغة الجمع : "لنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا" (تك ١:٢٦) (*Ibid* 4:20:1) .

(٤٣) Paschal letters 1:6

إذ يقول : [التأمل في الله وكلمته (اللوغوس) الصادر عنه فيه إشباع للذين يسمعون، فبالنسبة لهم يقوم مقام كل طعام. فلا يقتات الملائكة إلاّ برؤية وجه الآب والمخلص الذي في السماء](٤٤).

وفي أكثر وضوح يقول :

[اللاهوت كامل في الثالوث .

هذا هو الدرع الحقيقي الوحيد،

هذا هو الحق والصلاح،

إنه الإيمان الذي أعطاه الرب نفسه، وكرز به الرسل، وحفظه الآباء .

هذا هو الإيمان الذي بنيت عليه الكنيسة : التدبير الثالوثي، الأقانيم الثلاثة في توافق تام: الآب يخلص، والابن يخلص، والروح القدس يخلص. هذه الوحدة لا تقوم على كينونة الله بل على معرفة عمل الثالوث الخلاصي الواحد](٤٥).

٤ - **وحدة الثالوث فريدة،** كل التشبيهات التي نقتبسها من الخليقة عاجزة عن التعبير عنه كما يجب، لأنه لا يوجد فيها اتحاد فيه يحتوي الواحد الآخر ومع هذا يبقى متمايزاً عنه . كل أقنوم يملأ الأقنومين الآخرين وهو محتوى فيهما لكنه متمايز عنهما .

[كيف يمكن للواحد أن يكون محتوياً في الآخر والآخر محتوياً فيه ؟! ... "أنا والآب واحد" (يو ١٠:٣٠،٣٨). يضيف : [لكي تعرفوا أني أنا في الآب والآب فيّ" (يو ١٤:١٠). علاوة على هذا يقول : "من رآني فقد رأى الآب" (يو ١٤:٩ ...)](٤٦).

[الثالوث القدوس المبارك غير قابل للتجزئة، وهو واحد في ذاته، فإذا ما ذكرنا الآب نعني ضمنياً الابن الكلمة، كما نعني أيضاً الروح القدس الذي في

---

(٤٤) Against the Arians 1 PG 26:49; ad Serap. 1 (PG 26:595, 605)

See : Emilianos Timiadis, *The Nicene Creed*, 1983, p. 19

(٤٥) Against the Arians 3:23:5

(٤٦) Ep. ad Serap. 1:14

الابن . وإذا ذكرنا الابن، فإن الآب في الابن، والروح القدس ليس خارج الكلمة، لأنه توجد نعمة واحدة تتحقق من الآب والابن في الروح القدس][٤٧].

[لا يختلط في الثالوث شيء غريب، إنه لا يتجزأ، وله ذات الطبيعة][٤٨].

[ما دام يوجد في الثالوث القدوس وحدة الجوهر والمساواة في الدرجة، من يقدر أن يفصل الابن عن الآب، أو الروح القدس عن الابن أو عن الآب ؟ من يتهوّر هكذا فيقول إن الثالوث غير متجانس به طبيعة مختلفة في ذاته ؟ أو أن للابن طبيعة غير التي للآب ؟ أو أن الروح غريب عن الابن ؟

لكن إن سأل أحد : كيف يحدث هذا؟ وكيف يُقال عن الابن إنه فينا عندما يكون الروح فينا، أو الآب عندما يكون الابن فينا؟ أو كيف يُعنى بالثالوث كله عندما يُشار إلى أقنوم واحد، أو يُقال عن (الثالوث كله) إنه فينا حين يُقال إن أقنوماً واحداً فينا .

حسناً، ليت مثل هذا السائل أولاً يفصل البهاء عن النور، أو الحكمة عن الحكيم، أو على الأقل ليوضح لنا كيف يمكن أن يحدث هذا. فإن كان لا يستطيع أن يفعل هذا، فيكون أكثر جنوناً لو فُرض وقدّم تساؤلات مثل هذه بخصوص الله، لأن اللاهوت لا يُعطى باستعراض مجادلات كما جاء في (١ كو ١:١٧ ؛ ٢:٤)، بل بالإيمان مع استخدام العقل بحذر ووقار][٤٩].

٥ - ألوهية السيد المسيح تمسّ خلاصنا عملياً

[صار إنساناً لكي نصير نحن آلهة؛ وقد أعلن عن ذاته في الجسد، لكي ننعم بفكرة عن الآب غير المنظور ؛ وقد احتمل بغضة الناس له لكي ننال ميراث الخلود][٥٠].

(٤٧) *Ibid* 1:16, 17

(٤٨) *Ibid* 1:20

(٤٩) De Incarn. 54:3

(٥٠) Ep. ad Serap. 1:24

٦ - **ألوهية الروح القدس تمسّ خلاصنا**

[قيل إننا جميعاً شركاء اللّه بالروح القدس ؛ فقد قيل : "أما تعلمون انكم جميعاً هيكل اللّه وروح اللّه ساكن فيكم؟ إن كان أحد يفسد هيكل اللّه فيفسده اللّه ..." (كو ٢: ١٦-١٧).

لو كان الروح القدس مخلوقاً لما أمكن أن تكون لنا به شركة مع اللّه، بل كأننا نتحد مع خليقة، ونصير غرباء عن الطبيعة الالهية ... ولكن إذا كان بشركة الروح نصير شركاء في الطبيعة الالهية (٢ بط ١: ٤)، فمن الجنون أن يقول أحد بأن للروح طبيعة مخلوقة وليس طبيعة اللّه][٥١].

٧ - اجاب القديس اثناسيوس عن السؤال : هل يمكن للّه أن يلد ؟ بإجابة تماثل سالفيه : [لو كان جوهر اللّه عقيماً وغير مثمر في ذاته كما يدعون يكون كنورٍ لا ينير، وكنبعٍ جاف . أفلا يخجلون عندما يتحدثون عن قوته وطاقته الخالقة بينما ينكرون ما هو بالطبيعة ؟][٥٢].

٨ - **يُدعى الأقنوم الثاني "الابن" و "الكلمة"** : بدعوته الكلمة يُنزع عن الفكر كل تصور لولادة بشرية أو تخيل لتجزئته ... فاللّه الذي يلد كلمته لا يحمل جوهراً ولا يتجزأ، وليس نسلاً بمفهوم بشري يمكن أن يتناسل . [يتحدث عن "الابن" ليعلن عن الميلاد الطبيعي الحقيقي الكامن في جوهره، ومن ناحية أخرى لئلا يظن أحد أن هذه البنوة تشابه التناسل البشري، بينما يشير إلى جوهره يدعوه أيضاً "الكلمة" و "الحكمة" و "البهاء" ليعلمنا أن هذا الميلاد غير قابل للتغيير، أبدي، لائق باللّه][٥٣].

في اختصار قام دفاع القديس اثناسيوس عن الإيمان الثالوثي ضد الآريوسيين على **أساس كتابي**، مدللاً على لاهوت السيد المسيح ولاهوت الروح القدس بعبارات صريحة من الكتاب المقدس، مؤكداً أن هذا الإيمان **يمس خلاصنا**؛ وبانكاره نفقد عطايا الابن المتجسد المصلوب القائم من الأموات وعمل الروح

---

(٥١) Against the Arians 2:2

(٥٢) *Ibid* 1:28, See De Decretis 17

(٥٣) De Trinitate 2:5

القدس فينا ... اي أن براهينه سوتيرولوجية (خلاصية) ... لم يستخدم الفلسفة البشرية إلا بقدر ضئيل للرد بذات المنطق الذي استخدمه آريوس وغيره من الهراطقة .

القديس هيلازي اسقف بواتييه (حوالى ٣١٥-٣٦٧/٨ م) : أثناء نفيه بغيريجيا (سنة ٣٥٦ إلى ٣٥٩ م) اهتم بالرد على الآريوسيين، فكتب مقالاً عن الثالوث De Trinitate في ١٢ كتاباً، موضحاً النقاط التالية :

١ - لا يمكن الحديث عن اللّه بتعبيرات أكثر دقة من تلك التي استخدمها اللّه بنفسه، وقد ذكر أسماء تخصّ طبيعته : آب وابن وروح قدس، وإن كان هذا الأمر يفوق الفهم والإدراك (٥٤) .

٢ - يرى أن " آب" معناها " أصل" ؛ لأن الابن وجوده قائم في ذاته ولا يستمده من آخر غيره. [بالحرى منه وفيه يحوي حقيقة كينونته ... كلمة " آب" اسم يشير إلى طبيعته ... إنه ليس كالبشر يستمد أبوته من آخر ... (الأبوة) وهي خاصيته، سرمدي في ذاته، ويبقى هكذا دائماً](٥٥).

٣ - يتحدث عن الابن المولود من الآب وواحد معه في ذات الجوهر لكنه متمايز عنه :

[انه الابن الكامل من الآب الكامل،

الابن الوحيد الجنس الصادر عن اللّه غير المولود ...

إله من إله، روح من روح، نور من نور .

تبعة بقول الابن : "الآب فيّ وأنا في الآب" (يو ١٠:٣٨ ...)

واحد من آخر، وكلاهما واحد، ليس صادراً عن اثنين، إنما هو واحد في الآخر، ولا يوجد آخر في كليهما. فالآب في الابن، لأن الابن هو منه، والابن في الآب لأنه ليس لبنوته مصدر غيره](٥٦).

---

(٥٤) *Ibid* 2:6

(٥٥) *Ibid* 3:4

(٥٦) *Ibid* 3:4

(٥٧) *Ibid* 7:31,32

[لا يُرى الآب إلا في الابن وحده (يو ١٨:١)][٥٧].

[لا يمكنك أن تحصي إلهين في الله الآب والله الابن، لأن كليهما واحد؛ ولا يمكنك احتسابهما مفرداً لأن كليهما ليسا واحداً ... بالاعتراف بالآب يُعترف بالابن. بالإيمان بالآب نؤمن بالابن ايضاً، لأن اسم "آب" يحمل في ذاته اسم "ابن"، إذ لا يوجد آب بابن ... البنوة تكمّل معنى الأبوة ...

لا توجد إشارة إلى جمع للطبائع في خاصية طبيعة واحدة، ولا تقود حقيقة "إله من إله" إلى إلهين ... وهما ليسا إلا واحداً إذ الواحد منهما في الآخر][٥٨].

الكبادوكيون

لم يكن في ذهن الاسكندريين وضع منهج لاهوتي، إنما كان همهم الأول هو الكشف عن عمل الثالوث في حياة المؤمن : بنوته للآب، خلاصه بالابن المتجسد المصلوب، تقديسه بالروح القدس، خاصة في دفاعهم ضد المنحرفين. أمّا الكبادوكيون : القديس باسيليوس الكبير وغريغوريوس النيصي وغريغوريوس النزينزي فقد وضعوا منهجاً واضحاً للإيمان الثالوثي : ميّزوا بين الأقانيم الثلاثة والجوهر الواحد، وان ما يميّز الأقنوم عن الآخرين علاقته الخاصة بهما. **فالآب يتميز بالأبوة (العلة)، والابن بالبنوة، والروح القدس بالانبثاق من الآب**. وهم متساوون في ذات الجوهر، لهم ذات الكرامة. متمايزون لكن غير منفصلين، كل منهم يعمل في شركة مع الآخرين.

يلاحظ ان **القديس غريغوريوس النزينزي** (حوالى ٣٣٠-٣٨٩ م) غالباً ما يدافع عن عقيدة الثالوث في كل مقال :

[لاهوت واحد وحيد وقوة واحدة توجد في الثلاثة في وحدة، يشمل الثلاثة متمايزون، ليسوا غير متساوين في الجواهر أو الطبائع، ولا يقبلون الزيادة أو النقصان بإضافة أو طرح منه، وإنما هم متساوون في كل أمر ... وكل واحد متمايز بخاصيته الاقنومية. الثلاثة هم الله الواحد حينما يُنظر إليهم معاً، كل

(٥٨) On Holy Baptism, or. 40:41

منهم هو الله لأنهم واحد في الجوهر، هم واحد من جهة المونارخية (الوحدانية)][59].

[الثلاثة هم واحد في اللاهوت،

ومن جهة الخواص فالواحد هو ثلاثة.

هكذا الواحد ليس وحدة سابليانية Sabellianism، ولا الثلاثة ثالوث بطريقة دارجة خاطئة][60].

[طبيعة واحدة في ثلاثة أقانيم، عاقلة، كاملة، قائمون في أنفسهم، ينقسمون عددياً لكن ليس في اللاهوت][61].

ويقول **القديس غريغوريوس اسقف نيصي** (حوالي ٣٣٥-٣٩٤ م) :

[في الطبيعة الالهية لا يعمل الآب شيئاً ما إلا مع الابن، وكذلك الابن لا يقوم بعمل ما منفصلاً عن الروح القدس، بل يمتدّ كل عمل من اللّه الى الخليقة، ويمكننا تمييزه وفق مفاهيمنا، إنما أصله في الآب، ويأتي من الابن، ويجد كماله في الروح القدس][62].

القديس ديديموس الضرير (حوالى ٣١٣-٣٩٨ م)

كثيراً ما يكررّ عبارة : "جوهر واحد، ثلاثة أقانيم" ؛ يتحدث عن وحدة القوة operation التي لوحدة الطبيعة :

[حيث ان المتساوين في الجوهر homoousia هؤلاء يستحقون ذات الكرامة ولهم ذات القوة operation، وذات الطبيعة، ولا يختلفون الواحد عن الآخر، لا في اللاهوت ولا في القوة، وهم وحدهم يمكن أن يوجدوا معاً، لهم ذات درجة الكرامة، وفي كل شيء يفهمون مع ذاك الذي هو واحد][63].

---

(٥٩) Theological Oration 5:31:8

(٦٠) Against the Arians and About Myself 33:15

(٦١) Page 45:125 B ؛ الأب سليم بسترس، **اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر**، ج ٢، المكتبة البوليسية، ١٩٨٥، ص ٨١.

(٦٢) De Trinit. 2:6:4

(٦٣) De Spiritu Scanto 17

[من يشترك مع الروح القدس يشترك في الحال مع الآب والابن][٦٤].

[من يقبل نعمة الروح القدس ينالها كعطية من الآب ومن ربنا يسوع المسيح. بذات النعمة الواحدة، التي هي من الآب والابن تتحقق بعمل الروح القدس، يحققها الثالوث الذي للجوهر الواحد][٦٥].

يستخدم **القديس كيرلس الكبير** منهج اسكندرية السوتيريولوجي، ففي تأكيده لاهوت الروح القدس يقول إنه ذاك الذي يبرر الخطاة ويكمل المختارين، يعمل ما هو اختصاص الطبيعة الالهية الفائقة المجد وحدها، كما يقول إنه إذا كان الروح الذي يجعلنا آلهة هو من طبيعة مختلفة عن طبيعة اللّه نفقد كل رجاء لنا[٦٦].

يوجز **القديس اغسطينوس** ايمانه في العبارة التالية :

[كل المفسرين الكاثوليك (المنتمين للكنيسة الجامعة) لأسفار العهدين القديم والجديد الذين أمكنني قراءتهم، الذين كتبوا قبلي عن الثالوث، الذي هو اللّه، مالوا إلى تعليم بما يتفق مع الكتب المقدسة ان الآب والابن والروح القدس لهم جوهر واحد بعينه يحوى وحدة إلهية بمساواة لا تنفصل، لهذا لا يوجد ثلاثة آلهة بل إله واحد، مع أن الآب يلد الابن ولذلك فإن الآب غير الابن؛ والابن مولود من الآب، لذلك فالابن غير الآب، والروح القدس ليس هو الآب ولا الابن وإنما هو روح الآب وروح الابن، هو نفسه مساوٍ للآب والابن، وينتمي إلى وحدة الثالوث][٦٧].

يوضح القديس اغسطينوس المساواة بين الأقانيم مع تمايزهم قائلاً بأن الآب يرسل الابن ليس لأن واحداً أعظم من الآخر، فإنهما من ذات الجوهر متساويان وأزليان، وإنما لأجل التمايز[٦٨]. لا يفهم الثالوث (بطريقة خاطئة)، فإن الآب

(٦٤) *Ibid* 16

(٦٥) Dial. Trinit 7. page 75:1101, 1089, Jaroslav Pelikan, p. 216

(٦٦) De Trinitate 1:4:7

(٦٧) *Ibid* 4:20:27

(٦٨) *Ibid* 6:7:9

والابن معاً ليسا أعظم من الآب أو الابن وحده، لأن كل منهما في الآخر ولن يقوم أحدهما وحده منعزلاً عن الآخر [٦٩]. وليس الآب والابن معاً أعظم من الروح القدس، ولا أي أقنوم (شخص) هو أقل من الثالوث نفسه [٧٠].

أما **الآب يوحنا الدمشقي** فقد عرض للإيمان الثالوثي بمنهج تعليمي لا تختلف نظرته عن الآباء الكبادوك كما أخذ الكثير عن [باء الاسكندرية :

فالأقانيم متحدون دون اختلاط، ومتميزون دون انقسام ... نؤمن بآب واحد، مبدأ الجميع وعلتهم ...

ونؤمن بأن اللّه الواحد والوحيد، مولود غير مخلوق، من ذات جوهر الآب، الذي به كان كل شيء. فبقولنا إنه قبل الدهور، نبيّن أن ولادته لم تكن في الزمن ولم تبتدئ، لأن ابن اللّه لم ينتقل من العدم إلى الوجود، فهو بهاء المجد ... الذي كان دائماً مع الآب وفي الآب، مولود منه ولادة أزلية لا بدء لها ... لا يمكن القول إن اللّه خالٍ من الخصب الطبيعي، والخصب هو أن يلد من ذاته – أي من جوهره الخاص–مثيلاً له في الطبيعة ...

وهو الوحيد، لأنه وُلد وحده من الآب ولادة وحيدة ... أما الروح القدس، **فينبثق من الآب** لا بالولادة بل بالانبثاق. وطريقة الوجود الأُخرى هذه لا تُدرك ولا تُعرف، شأنها شأن ولادة الابن، لذلك كل ما هو للآب هو أيضاً للروح ما عدا (كونه العلة) ...

إن كلاً من الأقانيم هو في الآخر، لئلا نصير إلى كثرة وجمهرة في الآلهة. لذلك نقرّ بعدم تركيب الأقانيم الثلاثة وبعدم اختلاطهم. ولذلك أيضاً نعترف بوحدة الأقانيم في الجوهر ... فإن اللّه واحد حقاً، وهو اللّه وكلمته وروحه ... الجوهر واحد، والصلاح واحد، والقوة واحدة، والمشيئة واحدة، والفعل

---

(٦٩) *Ibid* 8: Pref:1

(٧٠) **المئة مقالة في الإيمان الارثوذكسي،** قسم١، فصل ٨، تعريب الارشمندريت أدريانوس شكور ق ب، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٤ .

واحد، والسلطة واحدة ... نعرف الله واحداً، ونعرف في وحدة خواصه الأبوة (العلة) والبنوة والانبثاق][71].

الخلاصة

من العرض السابق نرى الإيمان الثالوثي في العقيدة الكنسية عبر الأجيال الأولى في الشرق والغرب يقوم على أساس كتابي، بكونه إعلاناً إلهياً يقدّمه الله للإنسان موضوع حبه وتقديره، وليس وليد فكر فلسفي بشري . غاية هذا الإيمان هو التمتع بالمعرفة الخلاصية التي تمسّ حياتنا بل وطبيعتنا ... حتى ننعم بالأحضان الإلهية أبدياً.

هذه العقيدة كما أعلنها الطقس الكنسي خلال العبادة العامة، الليتورجيات الشرقية والغربية وكتابات الآباء الأولين لم تتغير عبر الأجيال وإنما تكشفت بالأكثر خلال الحوار الدائم بين الكنيسة والهراطقة. فيما يلي النقاط الرئيسية في هذه العقيدة :

١ - الإيمان الثالوثي لا يعارض التوحيد بل يؤكده، لأن الثالوث، ليس ثالوث جوهر بل يوجد جوهر واحد، طبيعة واحدة، إرادة إلهية واحدة .

٢ - الإيمان الثالوثي يؤكد بساطة الله لأن كل أقنوم هو في الأقنومين الآخرين ويحويهما، فالآب في الابن، والابن في الآب، والروح القدس هو روح الآب وأيضاً روح الابن ... وهذه وحدة فريدة لا مثيل لها !

٣ - الله الآب يعمل كل شيء بالابن في الروح القدس ... كل عطية إلهية هي ثالوثية ... فلا يعمل أقنوم منفصلاً عن الأقنومين الآخرين .

٤ - يدعى الابن "كلمة الله" حتى لا تفهم الولادة كجوهر آخر منفصل عن الآب، أو يتخيل أحد الولادة بمفهوم بشري تناسلي جسداني .

---

(٧١) Prof. Nikos A. Nissiotis, *The Importance of the Trinity Doctrine* (Fr. T. Malaty: *God*, Ottawa, 1986), p. 20

٥ – الولادة لا تقلل من شأن الآب أو الابن، فهي ولادة نور من نور، أو البهاء من النور ... إذ كيف يمكن أن يوجد نور بدون بهاء ؟! وهكذا بالنسبة للانبثاق ... فإنه كيف يقوم النور دون انبثاق للحرارة ؟!

٦ – رفضت الكنيسة بدعة السابليانية أو الشكلية أو الانتحالية التي تدّعي أن الثالوث مجرد ثلاثة أسماء أو أشكال؛ كما رفضت التبعية أو التدرج في اللاهوت ... فإن عدم تأكيد الثالوث يُفقد الإنسان رجاءه في التبني للآب والتمتع بخلاص المصلوب والشركة في الطبيعة الإلهية بالروح القدس ... وبغير هذا الثالوث لا تقوم المعمودية .

٧ – وحدة الثالوث فريدة لا مثيل لها، لإيضاحها يُقال إن اللّه كائن عاقل حيّ، الآب هو الكينونة أو العلة، والابن هو الكلمة الناطق أو النطق العاقل، والحياة هي الروح القدس ... هكذا لا يقبل الثالوث التجزئة .

توجد أمثلة كثيرة لكنها غير كاملة مثل قرص الشمس وأشعتها وحرارتها .

٨ – كلمة ثالوث في اليونانية Triandanes تعني "ثالوث مع وحدانية" في كلمة واحدة . لهذا فالثالوث ليس ١+١+١ وإنما: ١ × ١ × ١ = ١ .

الثالوث واحد غير خاضع لقواعد حسابية بشرية، بل هو فائق للوحدانية ذاتها .

٩ – لماذا نستخدم تعابير : "آب وابن وروح قدس" ؟ لأنها إعلان إلهي، ليس من عندياتنا .

هذه الأسماء تشير إلى التمايز، فالآب متساوٍ مع الابن والروح القدس في ذات الجوهر يتميز بالأبوة (العلة)، والابن يتميز بالبنوة، والروح القدس بالانبثاق .

١٠– أخيراً، الأقانيم الثلاثة متحدون معاً دون اختلاط، ومتمايزون فيما بينهم دون انقسام .

لم تُعقد المجامع المحلية والمسكونية لتضع قوانين إيمان وإنما غالباً ما كانت لمواجهة تيارات غريبة عن الفكر الكنسي والحياة الإنجيلية، وهي في هذا إذ تجد ضرورة لوضع صيغة قانون الإيمان أو توضيحه، لا تقدم شيئاً جديداً على الإعلان الإلهي في الكتاب المقدس، إنما تترجمه بتعابير مختلفة بلغة معاصرة، فتحقق الإيمان الراسخ فعلاً في أذهان الكنيسة الجامعة في الشرق والغرب. بمعنى آخر الإيمان الثالوثي ليس عقيدة اخترعتها المجامع، إنما هو خبرة رسولية وكشف عن عمل الله في حياة الكنيسة عرفتها كل الأجيال بتمتعها بالخلاص الإلهي .

١ - مجمع نيقية (٣٢٥ م)

انعقد لمواجهة الأريوسية التي تأثرت بالأفلاطونية التي ترى في الولادة انتقاصاً للجوهر، لهذا نادت بأن السيد المسيح كائن وسط بين الله والإنسان، وقد حسبت في هذا حفاظاً على التوحيد ...

وقد جاء قانون الإيمان النيقوي يتحدث عن الإيمان بالله الواحد، وقد أكّد أن "الابن مساوٍ للآب في ذات الجوهر" ... اهتم قانون الإيمان بالأقنوم الثاني لمواجهة الأرسوسية، لتأكيد أن الإيمان به لا يحطم الوحدانية إذ ليس جوهر آخر وفي نفس الوقت ليس بأقل من الاب لأنه في ذات جوهره ومساوٍ له .(homossius)

٢ - مجمع القسطنطينية (سنة ٣٨١ م)

اكتفى مجمع نيقية بذكر "نؤمن بالروح القدس" لأنه لم تكن بعد قد ظهرت بدعة المقدونيين التي تنكر ألوهية الروح القدس، بل تحسبه أحد الأرواح الخادمة، وأنه من خلق الابن .

وضع المجمع الصيغة التالية :

"نؤمن بالروح القدس، الرب المحيي المنبثق من الآب، نسجد له ونمجده مع الآب والابن، الناطق في الأنبياء"

يقابل ولادة الابن انبثاق الروح القدس ... لهذا لم تكن هناك حاجة لتكرار

عبارة "مساوٍ له في الجوهر"، إنما أكد المساواة خلال عبادتنا له مع الآب والابن بكونهم الله الواحد، كما تحدث عن دوره في تهيئة البشرية لقبول الخلاص بقوله : "الناطق في الأنبياء" ... كان عاملاً في العهد القديم ولا يزال يعمل فينا .

٣ - مجمع أفسس (سنة ٤٣١ م)

واجه بدعة نسطور التي لم تنكر الإيمان الثالوثي إنما قسّمت وفرّقت شخصية السيد المسيح، لذا أكد المجمع أن العذراء "والدة الاله" Theotokos، لأن المولود منها هو كلمة الله المتجسد .

الإيمان الثالوثي والفلسفة اليونانية

مدرستان مختلفتان

يدعى البعض أن الإيمان الثالوثي في المسيحية وليد الفلسفات المعاصرة في البدء انتشار المسيحية، خاصة الأفلاطونية، ويدللون على ذلك باستخدامها تعبيرات أو مصطلحات يونانية فلسفية مثل "اللوغوس" .

حقاً لقد انفتح باب الإيمان على مصراعيه أمام كل الأمم، واجتذب بعض الفلاسفة من بينهم أفلاطونيون كما اجتذب بعضاً ممن لهم ميول غنوصية. يقول الأستاذ نيكوس نيسيوليس Prof. Nikos A. Nissiolis إن التعليم الخاص بالثالوث القدوس كتابي بحت، وليس كما يظنّ البعض أنه مزيج من الفلسفة اليونانية والإيمان المسيحي. [يمكننا بسهولة تفنيد هذا النقد، لأن هذا المزج لم يحدث إطلاقاً في المسيحية الأولى، لأنه كان للفلسفة اليونانية واللاهوت المسيحي كيانان عظيمان، لكل منهما أصالته الخاصة به، واستقلالية هويته التامة، ومجالات الفكر وطرق التفكير بحيث لا يمكن المزج بينهما لخلق نظام جديد شبه لاهوتي أو شبه فلسفي][٧٢].

(٧٢) الأب سليم بسترس، ص ٧٠ .

في بداية انتشار المسيحية تطلع بعض الآباء إلى الفلسفة بكونها عدو الإيمان اللدود، فهاجمها العلاّمة ترتليان في القرن الثاني، أمّا في الاسكندرية إذ قبل القديس اكليمنضس الإيمان أراد اجتذاب الفلاسفة إلى الإيمان فصالح الإيمان مع الفلسفة، معتبراً الفلسفة وسيلة لدخول بعض الأمم إلى كمال إعلان اللّه في الكتاب المقدس ... وقد جاءت مدرسة الاسكندرية في العصور التالية له كتابية من الدرجة الأولى .

اضطر بعض المدافعين Apologists أو المناضلين إلى التعبير عن الإيمان المسيحي بتعابير مستقاة من الفلسفة اليونانية من أجل اجتذاب المتبشرين بتلك الفلسفة، فتأثر بعضهم بها، كما يظهر من التباس بعضهم في تأكيد أزلية الابن والروح القدس ووحدتهما ومساواتهما في الجوهر مع الآب. فالأفلاطونية تضع بين اللّه الأسمى والإنسان قافلة من الكائنات التي تحتل مرتبة وسطاً بين اللّه والإنسان، لأن اللّه، في نظرها، بعيد كل البعد عن العالم المخلوق، ولا يمكنه أن يتصل به إلا بواسطة تلك الكائنات. واللوغوس هو أعظم تلك الكائنات ... هنا تظهر الخطورة، وهي أن الكلمة كائن وسط بين اللّه والناس[٧٣] ...

لم ينكر المناضلون الإيمان الثالوثي، لكن بعضهم تأثر بالفلسفة الأفلاطونية فلم يبلغ دقة التعبير عنه ... وقد انبرى الآباء عبر العصور يوضحون الإيمان الثالوثي بدقة، معتمدين على الإيمان الإلهي.

استخدم الأريوسيون ومقاومو الروح Pneumatomachs الفلسفة الأفلاطونية فانحرفوا عن الإيمان الثالوثي. فالولادة-في الأفلاطونية- تعني انتقاصاً أو تغييراً في الجوهر، فلا يقدر الابن أن يكون من ذات الجوهر، وبحسب أفلاطون الكيان الحقيقي يختلف في الجوهر عن العقل الصادر منه .

اعتمد القديس اثناسيوس الرسولي في مقاومته للأريوسية على الكتاب المقدس، حاسباً ان الفلسفة هي وراء الانحراف الإيماني، لكنه كان عند الضرورة يستخدمها للردّ على الهراطقة بذات أسلوبها .

---

(٧٣) Adv.Haer. 2:28: 2 - 3

أمّا استخدام المصطلحات اليونانية الفلسفية في شرح إيمان الكنيسة الثالوثي فكان أمراً طبيعياً لشرحها باللغة التي تستخدمها تلك العصور .

المسيحية والغنوصية

كان للغنوصية بمذاهبها المتعددة فاعليتها على المجتمعات خاصة في القرن الثاني، وهي في مجملها تقوم على أساسين خطيرين :

الأول : ان المعرفة gnosis العقلية هي أساس الخلاص، مع تجاهل للإيمان إلى حد كبير.

الثاني : وجود ثنائية حتى في حياة الإنسان الذي يتكون من جسد وروح ؛ الجسد يمثل عنصر ظلمة والروح عنصر الخير أو النور . لذلك فإن اللّه الكائن الأسمى لا علاقة له بالخليقة، أمّا الإله الأدنى الذي صدر عن الإله الأسمى فهو الخالق ... أنكر بعض الغنوصيين حقيقة تجسد السيد المسيح، حاسبين أنه حمل جسداً خيالياً نزل من السماء وعبر في أحشاء مريم كما في قناة، لأنه لا يقبل الاتحاد بعنصر ظلمة .

واضح أن إيمان الكنيسة الجامعة مضاد للفكر الغنوصي، وقد انبرى كثير من الآباء مثل القديس ايريناؤس يدحض كل فكر غنوصي .

١ - أكّد الآباء أهمية الإعلان الكتابي ... وان الإنسان يبقى على الدوام يتعلم من اللّه (٧٤).

٢ - قاوم القديس اكليمنضس الاسكندري الغنوصية لا بمهاجمة اللقب بل بدعوة المسيحي "غنوصياً"، ويعني به صاحب معرفة روحية تقوية، فالمعرفة لازمة وضرورية لكنها هبة إلهية وليست وليدة فكر بشر مجرد (٧٥).

٣ - أكّد الآباء ضرورة الإيمان الثالوثي القائم على وحدة الجوهر كأساس خلاصنا، وأيضاً حقيقة تجسد الكلمة.

---

(٧٤) راجع كتابنا : **آباء مدرسة اسكندرية**، اسكندرية ١٩٨٠، ص ٧٢-٨٢.
(٧٥) Ad. Atioch., 8

عندما سأل السيد المسيح تلاميذه أن يعلّموا الأمم ويعمّدوهم باسم الثالوث القدوس (مت ٢٨:١٩-٢٠) لم يستخدم اصطلاحات لاهوتية بالمفهوم الحديث، ولا عبَّر عن الإيمان بتعابير فلسفية أو اصطلاحات يونانية ... وبقيت الكرازة والعبادة تقومان على الإيمان الثالوثي من دون حاجة إلى ذلك . لكن انحراف البعض عن الإيمان الكنسي الثالوثي دفع آباء الكنيسة أن يشرحوه بلغة العصر في ذاك الحين، فاستخدموا الاصطلاحات اليونانية. واليوم يجد اللاهوتيون المعاصرون صعوبة لترجمة هذه المصطلحات إلى اللغات الحديثة الحيّة، لأن كثيراً من الكلمات يصعب ترجمتها بلفظة واحدة دقيقة. هنا يليق بنا ملاحظة التالي :

١ - لم يكن آباؤنا أسرى الألفاظ، فيقول القديس أثناسيوس الذي كرّس كل طاقته للدفاع عن لاهوت السيد المسيح وتسليم وديعة الإيمان الثالوثي بلا انحراف، إنه لا يجب علينا أن ننقسم بسبب الألفاظ ما دام المعنى واحداً (٧٦).

٢ - تحدث مار أفراهات السرياني عن الإيمان الثالوثي دون استخدام المصطلحات اليونانية مع أنه جاء بعد مجمع نيقية .

٣ - إنها مسؤولية الكنيسة المعاصرة أن تقدم بكل دقة الإيمان الثالوثي للعامة بأسلوب يمكنهم فهمه وإدراكه.

أخيراً نذكر مثالاً لما قد تسببه التعابير من مشاكل، حينما تحدث القديس ديونيسيوس الاسكندري عن ثلاثة أقانيم، حسبها سميه القديس ديونيسيوس الروماني انها ثلاثة جواهر، وظن إيمانه شركاً، لذا كتب له الأول شرحاً لما يعنيه بلفظة"أقنوم"، وتصالحا .

يلاحظ أن الأجزاء المتبقية من كتابات البابا ديونيسيوس الاسكندري في رسائله لسمِّيه بابا روما توضح أنه كان يستخدم الثلاثة أقانيم (هيبوستاسس) لا كأنه يستحدثها بل كتقليد لاهوتي راسخ (٧٧).

(٧٦) Fr. T. Malaty, *God*, Ottawa 1986, p. 30

(٧٧) Quoted by St. Basil, De Spiritu Sancto, 72

من هذا كله يبرز أن الإيمان الثالوثي كما عاشته الكنيسة وعبّر عنه الآباء وحافظت عليه المجامع هو إيمان كتابي يقوم على كشف إلهي، يمسّ خلاصنا وتجديد طبيعتنا وتقديسها لكي نحيا في العالم كأولاد اللّه في فكرنا وأحاسيسنا وسلوكنا ونتهيأ للتمتع بشركة الميراث الأبدي. هذا الإيمان الحيّ لا يقف عند اصطلاحات بعينها، لأن اللغة البشرية تعجز عن أن تكشف عن أسرار اللّه، إنما يُقدم كحقيقة إلهية غير متغيرة باللغة التي يفهمها العصر لكي يعيشها في خبرته اليومية وحياته التعبدية .

الثالوث في حياة الكنيسة والمجتمع والعائلة

بقلم الاب سليم دكاش اليسوعي

يقول القديس بولس في رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي : "أما نحن فعلينا أن نشكر الله دائماً في أمركم، أيها الاخوة، يا أحباء الربّ، لأن اللّه اختاركم منذ البدء ليخلّصكم بالروح الذي يقدسكم والإيمان بالحق. إلى ذلك دعاكم ببشارتنا لتنالوا مجد ربّنا يسوع المسيح. فاثبتوا، اذاً، أيها الأخوة، وحافظوا على السنن التي أخذتموها عنّا، إما مشافهةً وإما مكاتبةً". (الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكي ١٣/٢-١٥) .

في هذه الآيات التي خطّها القديس بولس الى المؤمنين في تسالونيكي، نقرأ عناصر حقيقية إيمانية هي أن اللّه يتجلّى ثالوثاً هو الآب والروح وربّنا يسوع المسيح، وفي الشكر الذي يرفعه القديس بولس اعتراف بتلك الحقيقة الخالصة . إنه الاعتراف الإيماني بأن اللّه هو الذي اختار منذ البدء، والاختيار فعل مطلق إلهي يعطي اللّه بموجبه المختارين محبته ونعمته ويفيض عليهم قداسته . وهذا الاختيار يهدف في منظور بولس الرسول إلى خلاص البشر من العبودية بمختلف أنواعها وأشكالها، كالعبودية للخطيئة والحقد والأمراض والغرائز والقوى الشريرة. وهذا الخلاص يتحقق بقوّة الروح الذي هو نبع القداسة والحرية والحياة الجديدة، الحياة الأبدية. وهذه الحياة هي حياة المجد، لا حياة العبيد، ونبع حياة المجد هو يسوع المسيح .

وإذا كان بولس الرسول يعترف بالثالوث القدوس ويعلن ذلك جهاراً كحقيقة إيمانية ثابتة، فإنه في الوقت عينه يشير بوضوح إلى أنّ الثالوث يعمل في

حياة الكنيسة . فالإعلان عن الثالوث هو إعلان عن اللّه والإبن والروح، الذي لا يزال بمحبته يعمل من أجل قداسة شعب الربّ، "أحباء الربّ" . والمؤمن، أمام دعوة الربّ الإله الى القداسة، مدعو الى الثبات، أي إلى العيش بموجب ما تقتضيه الوصية الجديدة، وصية المحبة .

ومع بولس الرسول، رأى التقليد اللاهوتي المشترك أن الروح هو الحاضر دوماً في حياة العالم، وهو يمدّه بالمحبة دون انقطاع فيجعل منه خليقة جديدة . وحضوره الفاعل هو الذي يجعل المؤمن مقدّراً العالم حقّ قدره وهو الذي يدفع المؤمن الى العمل في سبيل خلاص العالم . وحضور الروح هو، منذ البدء، حضور حكمة لتحقيق قصد الله في تقديس الذين بلغتهم البشارة وقبلوها . والروح هو الذي يدعو الى الوحدة والشركة، إذ إن الكنيسة هي جسد المسيح. وإذا كان المؤمن يحيا على رجاء الخلاص في يسوع المسيح، فإن الروح هو روح الأناة والصبر الذي يغذي رجاءنا اليوم.

والابن، يسوع المسيح، يسكن في كل مؤمن، لا بل في قلب البشر جميعاً بشكل خفي، ليجعل من كل كائن بشري إبناً للّه . هو الذي يعلّم أن الآب هو مصدر الأشياء كلّها، وهو الذي يخلّص بقوة بفصحه .

والآب، هو اللّه غير المنظور، الذي لم يره أحد إلاّ الابن والذي يسعى البشر اليه. هو المطلق واللامحدود، المتعالي. في الآب، أعترف بغيرية اللّه وأعترف بقربه لأنه أرسل الابن ليقاسمني محبة الآب في حضور الروح القدوس .

إن الإيمان بالثالوث هو إيمان بأن اللّه هو محبة فاعلة واحدة من خلال أفعال الأقانيم واعتلائها. في الصفحات التالية نتعرف الى الله – الثالوث القدوس فاعلاً ومدبراً اليوم ،

١ – في سرّ المعمودية والميرون .

٢ – في سرّ التوبة .

٣ – في الافخارستيا .

٤ – في سرّ المحبّة .

أ) المحبة الثالوثية في الصداقة بين البشر .

ب) مثل الوالد والولد .

ج) الحياة الزوجية .

د) الجماعة المسيحية .

هـ) الحياة الرهبانية .

خاتمة : سرّ الثالوث القدوس والنضوج الروحي .

عمل الثالوث القدوس في سرّ المعمودية والميرون

إنّ ما يتردد عفوياً على الذهن هو ذلك الارتباط العضوي الذي أكّد عليه الربّ يسوع القائم من الموت عند إرساله التلاميذ إذ قال لهم : "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم به" (متى ٢٨:١٩-٢٠) . فالمعمودية تضعنا في ملء الثالوث القدوس وتجعلنا في علاقة وثيقة بكل واحد من الأشخاص الالهية، والثالوث القدوس يدخلنا، بواسطة المعمودية، في عالم الحياة الجديدة التي هي عطاء الهي ينبثق من الأقانيم الالهية . وفي معمودية الرب نفسه في نهر الاردن، "ظهر السجود للثالوث" . فإن صوت الآب شهد للابن فسمّاه الابن المحبوب والروح أيّد حقيقة الكلمة .

ومن المعروف، بحسب التقليد اللاهوتي المشترك، أن المؤمن يشترك، بواسطة قبوله سرّ المعمودية، في رسالة يسوع المسيح النبوية والملوكية والكهنوتية . ولكن المؤمن لا يستطيع أن يحقق هذه الرسالة إن لم يلقِ الروح القدس في قلب المؤمن صلاةً تؤهّله أن يخاطب الآب قائلاً: أبّا . فالروح القدس هو الذي يحرّك قلب المؤمن وكذلك أعماله، وهذا ما يشدّد عليه القديس بولس، انطلاقاً مما حدث له واختبره يوم اهتدائه: "إن الذين ينقادون إلى روح اللّه يكونون حقاً أبناء الله . لم تتلقوا روحاً يستعبدكم ويردكم إلى الخوف، بل روحاً يجعلكم أبناءً وبه ننادي: "يا أبتا" . وهذا الروح نفسه يشهد مع أرواحنا بأننا أبناء الله . فإذا كنّا أبناء اللّه فنحن الورثة، ورثة الله وشركاء المسيح في الميراث، وإنّا نشاركه في آلامه لنشاركه في مجده" (روما ٨:١٤-١٦) .

فحضور الروح في قلب المؤمن هو حضور يحرّر ويعتق الإنسان من طغيان الخوف وأسر العبودية. هو الذي يعدّ المؤمن ليكون الوارث الحقيقي للنعم والرسالة. إنّه يضعنا وجهاً لوجه مع الآب، الذي كشفه لنا يسوع وهو يعدنا، في الوقت عينه، عن تلك العلاقة، التي سادت ما قبل زمن الخلاص والتي تجعل من الإنسان عبداً بحضور السيد . فعندما نخاطب اللّه "أباً" في الروح القدس، فانما نخاطبه بكلمات يسوع نفسها وهو الذي أحب أباه حباً كبيراً، بقلب الابن الوفي. فالذي يتبنّى كلمات يسوع ويلبس شخصية الابن يتفادى الوقوع في فخ "تجربة الغربة" التي تجعل من المؤمن عبداً يخاف من اللّه ولا يرى فيه الا المسلّط الذي يصدر الأحكام والأوامر والذي لا همّ له إلا تقييد حرية الإنسان. فمن شأن هذه النظرة الى الله أو العلاقة به أن تفسد مقومات العلاقة الصحيحة بين الآب والابن وأن تجعل الإنسان يعيش في حالة غربة عن الله، فلا يعرفه حقاً ولا يخاطبه الا خائفاً مرتعداً. ولا شك أنّ حالة العلاقات القائمة بين البشر التي تتحكم بمصيرهم وتجعل الواحد منهم عبداً أو سيداً، من خلال تسلّط قوى الجنس والسياسة والمال، تؤثر سلباً على مفهوم العلاقة بين الله والناس، فتصبح العلاقة بين الإنسان واللّه إنعكاساً لحالة تلك العلاقات بين البشر. أمّا يسوع فهو يكشف لنا عن وجه اللّه الحقيقي، وجه الآب المحب، الذي ليس إلاّ محبة، إذ إنه اعلمنا، بيسوع المسيح، أن المحبة الصادقة هي التي تتجسد في كائن محبوب، هو نفسه الكائن المحب. الروح يعمل هنا بصورة وثيقة مع يسوع لينزع من قلب المؤمن كل أثر اغتراب وخوف . ولقد عمد اللاهوت الشرقي إلى مقارنة عمل الروح في المؤمن بعمل النحّات، الذي لا يخلو من دقة ومهارة وصعوبة وانتباه وطول أناة. كيف يعمل الروح في قلب المؤمن لينزع عنه، في المعمودية، كل اثر اغتراب وانغلاق للذات ؟ نستعرض سريعاً عمل الروح في النقاط التالية :

١ - إن المعمودية هي الطريق الى "الميلاد الثاني" لكل إنسان. في يوم المعمودية، نغتسل ونتغطس لكي تحمل أجسادنا وأرواحنا سمات صورة المصلوب القائم من الموت. في ذلك اليوم تنطبع صورة الإبن الوحيد ثانية في نفوسنا فتصبح الخليقة خليقة جديدة، شملها إصلاح تام وكامل: "لقد كان بعضكم

على ذلك فغسلتم، بل قدستم، بل بررتم باسم ربّنا يسوع المسيح وبروح إلهنا" (١كو ٦:١١) . إذ ذاك ينطبع القلب البشري بخاتم الابن الوحيد، فيسترد الإنسان ما يكون قد خسره بمفعول الخطيئة .

٢ - إن حياة من نال العماد بالمسيح هي مغامرة يومية، يقبل خلالها المؤمن أن يتقلب في الأشياء البسيطة والوضيعة . هي أيضاً مغامرة كائن تكوّن جذرياً وخلع عنه لباس العالم العتيق: "ها هو العالم القديم قد انحلّ وبزغ فجر جديد" . في هذا الإطار، يتابع الروح عمله، عمل النحّات، فيرسم بصبر وأناة في قلوبنا أيقونة السيد المتجلّي الممجد. فالروح لا تخمد عزيمته أمام سقطاتنا، بل إنه يصوّر الجدة المسيحية بحنان كبير، إلى أن يهتف المؤمن مع الرسول : "فما أنا أحيا بعد ذلك، بل المسيح يحيا فيّ" (غلاطية ٢:٢٠). فالمسيح هو الباب (يو ١٠:٧) الذي بواسطته دخل الخراف الى الملكوت . هو باب الرحمة والصفح، ينفتح واسعاً أمام حقارتنا وضعفنا، وينادي الخاطئ إلى اعلان إيمانه عالياً لتكون طريقه طريقاً نورانياً، لا طريقاً مظلماً. ووراء الباب، نجد المرعى الذي نغذي منه حريتنا في سبيل اللّه لإنماء الحياة الأخوية، حياة الشركة .

٣ - لا نستطيع الحديث عن العماد المقدس، من دون أن نتكلم، وان عرضاً، عن سرّ الموت . فالعماد هو موت في المسيح، الذي دخل بنفسه مياه الاردن رامزاً الى موته وموت الخطيئة. فالمياه، ان كانت جارية أو باردة أو ساخنة، كما تقول الديداكه، أي تعليم الكنيسة الأولى، هي طريق الولادة في الحياة الالهية، وهي أيضاً مياه الطوفان ومياه الفصح التي تبيد الأنانية، بعرباتها وفرسانها. ولكن ماذا ستكون تلك الساعة التي ستنهي مغامرة الحياة الإنسانية على الأرض ؟ هل ستكون ساعة صعبة أم سهلة؟ سلامية أم موجعة ؟ إن هدف المعمودية هو أن تجعلنا نعيش منذ الآن فصح المسيح، ولا شك أن قمة الفصح ستكون في تلك الساعة، مما يجعل من انتقالنا إلى دار الآخرة فصحاً جديداً في المسيح، هو بكر الراقدين والقائمين من الموت، وهو الذي انتقل أولاً . وفي هذا

المجال، يقوم الروح بدور فريد من نوعه، إذ إن حضوره في حياة المؤمن هو حضور فاعل ومقدّس لأنه مبدأ الحياة الأبدية (يوحنا ٣:٥-٨،٦٣:٦، ٣٧:٧-٣٩، ١ كور١:٢٢) ، ولأنه القوة الالهية التي تتيح للمؤمنين أن"يحيوا في المسيح" (روما ٢:٨) . وأن يكون الإنسان مسيحياً، هذا يعني أنه يملك "روح المسيح" (روما ٩:٨) والروح القدس (روما ٥:٥) وأن يكون في الروح (روما ٩:٨) وأن يتحرك بدافع من الروح القدس (روما ١٤:٨) وأن يسكن فيه الروح القدس (روما ١١:٨) . فالانتقال من هذه الحياة الى الحياة الأخرى "في المسيح" لا يكون ناجزاً الا بقيادة الروح القدس بموجب العهد الجديد، عهد التبنّي .

٤- إن الروح القدس، في المعمودية، يزرع في قلوب المؤمنين روحاً تدفعهم بقوّة نحو التشكل بشكل المسيح ومن ناحيته، يقوم المسيح في سرّ المعموديةبدورخاص خفي، هو دور خادم (Diakonos) الآب وخادم البشر .

فلقد عاش المسيح حياته على الأرض خادماً للآب، بروحية الابن المطيع الأمين، في حين هجره بقية الأبناء وربطوا حياتهم بخدمة الأصنام. إنه اختصر علاقته بالآب السماوي بالكلمات الآتية : "إن سيد العالم آتٍ وليس له يد عليّ. وما ذلك الا ليعرف العالم أني أحب الآب وأني أعمل كما أوصاني الآب" (يو ١٤:٣١). فهذه الكلمات ليست مجرد تأكيد على الحب الشكلي. إنها تعبّر عن فعل الحب وعن التزام فعلي بالخدمة والعطاء، وعن علاقة يسوع بالآب. فلا حياة وصلت الى الكمال مثل حياة يسوع المسيح ولا حياة وحّدت بين القصد والفعل، بين الكلمة كلفظ وعبارة، والكلمة كفعل، مثل حياة يسوع المسيح. فالمعجزة الأكمل في إنجيل يسوع المسيح ليست في آيات الشفاء وحتى الاقامة من الموت وحسب، بل في أن يسوع وحّد بين قوله وفعله، وربط حياته ضمناً وعلناً بمشيئة الآب ووصيته .

وفي المعمودية، يكرّس الروح القدس حياة المؤمن في حياة المسيح، فيوّحده بها، ويوحد بالتالي حياة الإنسان المنقسم على ذاته، بين الخير والشر، بين المثال والواقع، بين الخيال والحقيقة، بين الجسد والروح وبين القصد والفعل. فبقدر ما

يقبل الإنسان اقتراحات الروح ووصاياه اللطيفة والجدية، يصبح الآب الكنز المخفي واللؤلؤة النادرة، غاية السعي اليومي، والمقياس الوحيد لكل الأمور والأعمال. وحياة من تغطّس في مياه المعمودية لن تكون نوعاً من التقليد والمحاكاة العاطفية لحياة المسيح، بمعنى النقل الحرفي لها أو التشبّه المظهري، بل اضطلاعاً بما دعا اليه المسيح وعاشه ولا يزال يدعو اليه من علاقة صدقٍ ومودة باللّه والناس.

ولا شك ان الصلاة، كخدمة وفعل يتجدّد مع الأيام، تربط حياتنا الفردية والجماعية بالله وتعمل على توحيدها وتثبيتها روحياً. فكما ان المسيح كان رجل صلاة، رجل الخدمة الليتورجية – وكان، في الوقت عينه، إنساناً يعيش في وسط العالم بين اخوته، يعيش الإنسان المعمّد في وسط العالم فلا يرفضه ولا يتركه، ولكنه يتحمل أعباء الحياة اليومية، ويضطلع بمسؤولية البشارة بالمسيح تحت شكل الدعوة التي يختاره لها.

٥ – والمسيح خادم الآب، كان في الوقت عينه خادم البشر: لا بل أنه عاش خدمته للآب كخدمة فعلية لأخوته أبناء البشر . ألم يعلم يوحنا أن من يدّعي أنه يحب الآب ولم يحب أخاه هو دجّال (١ يو ٤:٢٠) . ففي مشهد غسل أرجل التلاميذ، يعبّر يسوع عن المستوى الأرفع الذي يجب أن تصل اليه خدمة البشر للبشر باسم اللّه تعالى وطاعةً له. فيسوع يخدم البشر في الاعلان عن محبة اللّه اللامتناهية لهم وهو يخدم اللّه في الاعلان عن بنوّتهم له. وفي هذا السياق، يلتزم من تغطس في جرن العماد الطريق عينه، بمشورة اللّه وقيادته، ويرتضي أن يصبح وجوده وجوداً للخدمة والمحبة، اي أن يتحوّل الى "طعام محبة" . فالشهادة الحقيقية الفاعلة اليوم، الى جانب شهادة الدم حيث يأخذ المعمّد صورة المسيح المعلّق على صليبه، هي تلك الشهادة اليومية، التي يعطي بموجبها المعمّد قطرات دمه، قطرةً وراء قطرة ويوماً اثر يوم، تحت شكل الخدمة الصبورة والكلمة المحبة . هي شهادة تعبّر عن روحية الخدمة، حيث يدافع الإنسان عن حق أخيه الإنسان ويدعو الى الاعتراف بقيمته المطلقة .

٦– وهكذا عندما يحمل المعمّد سمات المسيح وصورته في داخله، **يعترف**

بأن الآب هو أبوه وأبو الكثيرين، جماعة الاخوة. تكون لنا الجرأة حينذاك بأن نقول معاً : "أبانا" بالفرح والانتظار، والفضل يعود في ذلك الى يسوع. فموقف المعمّد هو غير موقف المقهور والمستعبد، انه موقف الجرأة والشجاعة. فمن عنده الجرأة بأن يسمّي اللّه "أبانا"، تكون له أيضاً الشجاعة في توحيد حياته وفي تكريسها لمحبة اخوته وخدمتهم. إنّ حدود هذه الأخوّة هي أبعد من الحدود المنظورة لمختلف الكنائس: انها أرض لا حدّ لها، اسمها ملكوت الله. فخدمة الاخوة في جماعة منظورة هي منطلق الى إشراك الآخرين في "طعام المحبة" الذي يهبه الآب للجميع دون تمييز .

إن الآب هو "الآب المطلق" لأن أبوّته تتأصل في علاقة أبدية بالابن الوحيد والحبيب، المولود قبل الدهور في محبة الروح. إنه ابو ربنا يسوع المسيح. وهذه الأبوّة هي في الأساس احترام حرمة الفرد وحريته إذ انه ابن الله، أحبه اللّه عندما خلقه وخلّصه بيسوع المسيح، وهي أساس ارتباطه بجماعة الاخوة. فالإيمان الثالوثي يقود الى التوازن الضروري بين مكانة الفرد ودور الجماعة: فالآب أحبني شخصياً، وأحب غيري كذلك، والابن خلّصني وخلّص غيري والروح يسكن فيّ وفي الجماعة. الآب يجعلني ابناً بين أبناء آخرين يؤلّفون جماعة الأبناء. فالمسيح افتدانا جميعاً والروح هو الذي يعمل على ترسيخ روح الوحدة ضمن احترام كل شخص لأخيه. والآب لا يسمح لي بأن أناديه "أباً" الا بمقدار اعترافي بأنه "أبانا"، أبو الجماعة كلّها .

وسرّ الميرون أو التثبيت هو ختم المعمودية وكمالها. فكما أن الإنسان الغريب لن يصبح من أبناء البيت الاّ عندما يحتضنه ربّ البيت ويقبله، فان من قبلَ سرّ المعمودية لن يحمل كامل المواطنية الكنسية إلا عندما يقبله رئيس الكهنة المحليّة بواسطة مسحة الميرون، فيصير المؤمن متجسداً بالمسيح والكنيسة ومتأهباً للمساهمة في العمل الاجتماعي. وهذا التثبيت إنما يمنح بوسم جبهة المؤمن بالميرون المقدس على شكل صليب، ثلاث مرات باسم الثالوث القدّوس .

إن الروح القدس هو في أساس سرّ المصالحة بين البشر أنفسهم وبين الله والبشر. فهذا ما نسمعه في كلمات يسوع الذي قال لتلاميذه : "كما أرسلني الآب، أرسلكم أنا ايضاً. قال هذا ونفخ فيهم وقال لهم : خذوا الروح القدس. من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن أمسكتم عليهم الغفران يمسك عليهم" (يو ٢٠:٢١-٢٢) . ان يسوع أقام بهذه الكلمات، ذات المدلول الثالوثي، العميق، سرّ المصالحة، وعلينا أن نفهم هنا معنى المصالحة في إطارها الثالوثي :

- إن إرسال المؤمنين لحمل بشارة المصالحة هو مشاركة في رسالة الابن. فمضمون هذه الرسالة هو أن نعلن البشرى: الآب أحبنا كما أحبَّ الابن الوحيد، ويريد أن يجمع الكلّ حول المائدة الواحدة.

- لدى الابن الذي قام من الموت القدرة على أن يرسلَ أحباءه الى العالم. هو يستطيع أن يقوم منفرداً بهذه المهمة، لكنه يريد أن يعطي للبشر الفرصة أن يختبروا فرح الرسالة وأن يتحرروا من الخطيئة .

- ولحمل الرسالة والثبات فيها، علينا أن نقبل الروح، قوة المسيح. فعلينا أن نعمل بقوة الله والكلمة الأولى التي علينا أن نعلنها هي كلمة الرحمة، على مثال ما صنع المسيح نفسه تجاه الخاطئ والعشّار .

١ - والروح نفسه هو الذي يعمل على المصالحة، أي إنه يعلن أن الله قريب، وهو غفور وانتصر على الخطيئة فينا، مهما كانت تلك الخطيئة متأصلة في القلب وكبيرة .

فالروح يحثّ الخاطئ دوماً على العودة بثقة الى الآب، مبتعداً عن خطاياه. فإذا كانت الخطيئة هي خيانة للوعود التي قطعها المؤمن بموجب عماده، وانخراطه في جسم المسيح، وبما أن المعمودية تصير بقوة الروح القدس، فان العودة إلى الأمانة - أي العودة الى التأصل في المسيح - وتجديد الوعود، لا تتمّ إلا بقوة الروح القدس . ففي الروح يحتفل المؤمن أيضاً بانتصاره على الشرير، وهو يحتفل أيضاً بانتصار رحمة الله وحنانه على قوة الخطيئة والنزعة الى الشرّ. وفي احتفاله

هذا، يعترف المؤمن بانتصار رحمة الله ويشكر الرب على ما أنجزه . ومهما كانت الخطيئة قوية وجارحة فان المؤمن الذي يختار المصالحة مع اللّه وأخيه، يعلن أن خطيئته لم تفلح في القضاء على المحبة التي زرعها الروح في المعمودية، وان هذه المحبة هي أقوى. ولذلك فهو يعود إلى الآب السماوي وإلى جماعة الأخوة، بعد أن يتّخذ له شاهداً على أن توبته حقيقية، وان النعمة التي نالها في المعمودية لها مفعول مستقبلي إذ إنها تقضي على بذور الشر في كل حين .

وعندما يعلن المؤمن هذا الانتصار، فإنه يقبل، في الوقت عينه، بذلك المستقبل الذي أعدّه اللّه له. فلا ينغلق من بعد على ذاته ولن يترك العنان لمخيلته فيصبح صديقاً للخطيئة من خلال تذكرها. وهو يرفض أن يعود الى الخطيئة حين يترك نفسه أسيرة الحزن والقلق. فهو يقول مع القديس اوغسطينوس : "أيها الربّ، أشكرك لأنك تفكر حتى في خطيئتي، دون أن تجعلها ثقيلةً عليّ" .

٢ - في المصالحة، نتذكر فصح يسوع وقوته الخلاصية لجميع البشر في كل زمان . لقد جرت العادة بأن نشير الى الافخارستيا عندما نستخدم عبارة "الذكرى" والحقيقة أن هذه الكلمة تتعدّى حدود الافخارستيا بقدر ما يتداخل فصح المسيح بمختلف أوجه الحياة المسيحية كلّها، وبالخصوص حياة المؤمن الذي يريد أن يتصالح مع اللّه وإخوته والتكفير عن خطيئته. فعندما يتوجه الخاطئ الى اللّه، معترفاً بخطيئته، بواسطة الكنيسة، فانه يعلن عالياً أن صليب المسيح هو الذي يحررّ وهو بالتالي المنتصر على الخطيئة. صليب الابن هو الذي يؤكّد لنا كل يوم نحن معشر الخطأة أننا أبناء وما زلنا مدعوين الى أن ننمو في حياة البنوّة رغم الخطيئة التي تتهدّدنا .

تحت شجرة الصليب، يعرف الخاطئ أنه لا يخشى أمراً . فهو يستحق غضب الآب، لأن خطيئته هي جسيمة، بالمقارنة مع عظم الحب الذي أظهره الله له بابنه الوحيد. ومع ذلك فإنه حاد عن ذلك الحب وأدار له ظهره. هذا يعني أن خطيئة المؤمن هي أفدح من خطيئة غير المؤمن أو القليل الإيمان (Oligopistos)، لأن الأول يعرف الحب فيحتقره وبينما الآخر يجهله ولم يذق طعمه بعد. فخطيئة المؤمن هي تعبير عن ضعف الإيمان وعلامة شك قويّة في عظم الحب وقوته .

وإذا ما أقمنا في سرّ المصالحة ذكرى فصح المسيح فهذا يعني ان الإنسان القديم قد ولّى، والخليقة الجديدة أصبحت واقعاً. فمن الممكن أن يعود الإنسان الذي تجدّد بالمسيح إلى الوراء، ولكن ثقة هذا الإنسان كبيرة بأنه لن يخسر الحرب وأن المنهزم الحقيقي هو روح الشرّ. فالمزيد من التواضع والصبر وحرية القلب تجعلنا ننزع نحو اقتناء صورة المسيح في قلوبنا .

وإقامة ذكرى فصح المسيح، في الأخير، هي أمر حسن للجماعة كلّها التي تحيط بالخاطئ – التائب. ففي الخاطئ، الذي غفرت خطاياه بفصح المسيح، ترى الجماعة المسيحية أنها هي أيضاً الجماعة التي نالت المغفرة والرحمة وتحتفل بيوم تجديدها وقيامتها. فكنيسة السماء، تعترف مع كنيسة الأرض أن رحمة الله أقوى من قساوة قلوب البشر .

٣ – في توبتنا، يظهر لنا الآب أمانة كبيرة تفتح آفاق المستقبل وطريقاً جديداً نسير عليه أقوياء معافين .

فهذا الطريق هو طريق قداسة : "كونوا كاملين كما أن أباكم السماوي هو كامل" (متى ٥:٤٨) . ففي منطق البشر هذه الدعوة مستحيلة التحقيق. أمّا بالنسبة للروح القدس، فلا شيء مستحيل وكل شيء يصبح معقولاً، لأن الآب لا يفقد الرجاء في أن ابناءه سيصلون الى الكمال في كل شيء . هذا يعود إلى أنه رسم لكل واحد منهم مشروعاً رابحاً . فإذا كان بمقدوره أن يصنع أبناء لابراهيم من حجارة، فكم بالأحرى يستطيع أن يبيض القلوب السوداء التي كتب عليها الشرير أفكاره السوداء .

هذا الطريق هو طريق رسالة. فوحدهم الذين استطاعوا الوصول الى قمة الجبل، بالرغم من المصاعب والمشقّات، وحدهم الذين تتلمذوا مع الإثني عشر والإثنين والسبعين، واجتازوا ضباب الشيطان وعثرة الصلب، هؤلاء يستطيعون أن يكونوا حاملي البشرى. إن الخاطئ الذي غفرت خطاياه يحتفل بأمانة الآب وقدرة رحمته. هو يستطيع القول بالفعل إن المستقبل هو مفتوح أمامنا لأن الآب هو الحارس الأمين له .

إن المصالحة هي بحقّ من فعل الثالوث، لأنها تجديد للمعمودية، هي سرّ

الأمل والرجاء : فالروح يدفع نحو القداسة والتوبة والإبن يفتح لنا أبواب النعمة والآب يرسم لنا طريق الكمال.

الثالوث القدّوس في الافخارستيا

من المعروف أن الجماعة الكنسيّة تجتمع بقوة الروح القدس لإقامة الخدمة الافخارستية الليتورجية. وإذا كنّا تعوّدنا مباشرة تفكيرنا حول الثالوث القدوس وفعله في الكنيسة بالحديث عن دور الروح القدس، فإن هذا يبدو ضرورياً عندما نتكلم عن دور الثالوث الأقدس في الليتورجيا: فالروح القدس هو المحرّك الأول للجماعة لكي تجتمع وتتوحّد وتلتقي للصلاة وإقامة الافخارستيا والاحتفالات بمختلف أنواعها. فبقوّة الروح القدس الإلهية تتحقق شركة القداسة والكمال.

الروح، رباط المحبة بين أبناء الجماعة الواحدة.

١ - تتألّف الجماعة التي تقيم الليتورجيا من أشخاص أحبهم اللّه ودعاهم، وتعرف أن الروح القدس يعمل في كلّ واحد منهم ليجعل الجميع شبيهين بالربّ يسوع. فعمل الروح يطهّر ويبني في آن معاً: هو يطهّر - اي أنه يشذّب - من الأنانية عندما يعمد إلى اتلافها شيئاً فشيئاً، لأنها تمنع من النمو في المحبة الثالوثية. وهو يبني تدريجياً الكائن الجديد، "العالم الجديد"، الذي سيكتمل في "الأزمنة الأخيرة"، التي بدأت ها هنا في الكنيسة .

٢ - تختبر الجماعة المسيحية فعل الروح عندما يتحقق الاخوة أن روحاً جديداً واحداً يربط الواحد منهم بالآخرين . فالروح هو رباط المحبة الذي يشدّ الاخوة بعضهم الى بعض، وهو دور يقوم به الروح في سرّ الثالوث. هو رباط المحبة الذي يحترم التنوّع ضمن الجماعة ولا يمحوها. ففي الحياة الثالوثية، لا يمحو الروح خصائص الآب والابن بل انه يحافظ عليها. وهذه الخصائص الفريدة هي التي تجعل من المحبة أمراً ممكناً وتعطي لكل فرد الإمكانية بأن يعبّر عن هذه المحبة من خلال الخصائص التي يحملها في ذهنه وجسده وقلبه. وهكذا فان جسد المسيح ينمو وينتشر عندما يعطي كلّ واحد خير ما عنده لبناء الجماعة الواحدة. فبقدر ما ينمو كلّ واحد من الاخوة بخصائصه وإمكانيته ومواهبه، تنمو الكنيسة،

جسد المسيح بكامل أعضائها.

٣ - إن وظيفة الروح هي في مساعدة الجماعة المسيحية، من خلال احتفالاتها الطقسية، في أن تعيش وتنمو وتتكاثر روحياً. والروح هنا هو "مزيد من عواطف الحنان والرأفة واللطف والتواضع والوداعة والصبر" كما تقول الرسالة إلى أهل قولسي. فالليتورجيا التي نعيشها في الروح القدس هي خدمة ننقل فيها الفرح بعضنا إلى بعض وتكون بالتالي إعلاناً عن الملكوت الآتي، عندما يكتمل كلّ شيء فيستقبلنا اللّه قائلاً : "ادخل إلى فرح سيدك".

الافخارستيا، احتفال بفصح الابن

٤- ان الليتورجيا الافخارستية تحتفل بفصح الابن، وهي تتذكر آلامه وقيامته - العهد الجديد - وبالتالي عمله الخلاصي في التاريخ. فالذكرى التي تحتفل بها الليتورجيا مرتبطة بشكل وثيق بحاضر الجماعة وبناء جسد المسيح. فالأحداث الفصحية الماضية، إذ تقام في الحاضر، هي قوة بناء المستقبل.

والليتورجيا الافخارستية لا تكتفي بتذكر فصح المسيح، بل هي تستعيد مجريات رسالته بيننا، من خلال قراءة إنجيل الابن، وهي تتذكر أيضاً دخول الابن، الذي أخذ بشريتنا، في مجد الآب. وعندما تتذكر، تعرف الجماعة المحتفلة وتعي بأن عليها أن تسير على الطريق عينها مع الربّ يسوع، وهي طريق خدمة الآب. ففي تذكّر الأحداث الفصحية، تجد الجماعة قوة وغذاء للسير على الطريق نفسها التي سبق ومشى عليها الربّ بقوة الروح القدس نحو الآب . فلا نستطيع أن نقيم الذكرى إلاّ بقوة الروح القدس الذي يقودنا نحو الآب.

والجماعة اذ تحتفل بفصح الابن، إنما هي تحتفل باكتمال المخطط الخلاصي الذي يريد إشراك البشرية في حياة اللّه . فهي تؤكّد أن الأحداث التي جرت منذ ألفي سنة هي مصدر قوة حياة جديدة وتجد فيها تحقيقاً لما أراده اللّه للبشرية كلّها في يسوع المسيح. فالمسيح ليس ذلك المثال أو الحكيم والقائد فقط، بل هو بالأخص سرّ وجودها وديمومتها، إذ إنه يشرك البشرية في فصحه وحياته. وتلبّي هذه البشرية الدعوة للاشتراك في حياة الابن. فالليتورجيا الافخارستية هي مصدر

التزام ومشاركة في رسالة المسيح الخلاصية المثلثة الأبعاد: الملوكية والنبوية والكهنوتية. هي مبدأ مشاركة للمسيح في خدمة الآب والاخوة. فعلى هذا المستوى، يبدو الاحتفال الفصحي أمراً غاية في الأهمية إذ يدفع المؤمن الى مقاسمة يسوع المسيح حياته كمصلوب، اليوم وفي واقع معين.

الافخارستيا، فعل شكر للآب على أمانته

٥- وأخيراً، الليتورجيا الافخارستية هي احتفال نشكر فيه اللّه الآب على محبته الأمينة. ففي الخدمة الالهية، "نتجاوز" سرّ الفصح وأحداثه، لنصل الى الآب مصدر هذا الفصح وعلّته وينبوع كلّ محبة. فعندما "نتجاوز"، فهذا لا يعني أننا ننسى سرّ فصح يسوع، بل على العكس من ذلك، نرى في الفصح قوة دفع نحو الآب. فيسوع المسيح هو اللّه مثل الآب والروح، وهو الحياة والحقّ، لكنّه الطريق والباب. فهو الوسيط الذي لا يترك جانباً، بل ان المؤمن يذهب معه وبواسطته الى الآب. فالليتورجيا، رسالة يسوع نفسها كليتورجيا، لا توقفنا عند الفصح أو رسالة يسوع التبشيرية: إنها تجذبنا وتدخلنا الى دار الآب السماوي .

وهذا الاجتذاب هو أساس المحبة الثالوثية: "كلّ ما هو لي هو لك" يقول يسوع. وهذه الكلمة هي أساسية بالنسبة لحياة كل مسيحي. فيسوع يأتي إلينا ليعرّفنا على الآب فيقودنا إليه. إنه حقق سرّ الفصح بطلب من الآب وطاعة له، لا برغبة فردية، ورسالة الفصح تقضي بإيصالنا الى الآب. هو يريد أن يقودنا إلى المكان الذي أتى منه .

وبيسوع المسيح، يريد الآب أن يجذبنا إليه، وهذه هي المحبة التي أظهرها للبشر جميعاً منذ الأزل. والليتورجيا الافخارستية، باسم الجميع، مؤمنين كانوا أم غير مؤمنين، تحتفل بمحبة الآب وأمانته لعهده الجديد دوماً. وهي تعود الى العهد القديم لكي تتذكر الأعمال العظام والمعجزات التي حققتها محبة الآب في تاريخ شعب معين. ومحبة الآب هي محبة يقظة وساحرة، تنقش وتدبّر : فبالرغم من سيئاتنا وسقطاتنا، فمحبة الآب تبقى أمينة لا تتزعزع، رغم أن هذه المحبة تؤنّب وتقاصص أحياناً .

والجماعة المسيحية، في الليتورجيا الافخارستية، تعترف بهذه الأمانة في ساعات الفرح والهناء وكذلك في ساعات الشدة والحزن والاضطهاد. والافخارستيا هي خدمة تنعش وتنمي روح المحبة والفرح، لا لأن الكنيسة ترغب في نسيان الصعوبة والشقاء، بل لأنها تريد أن ترى كل شيء وقد تجدد بمحبة الآب التي ظهرت في فصح الابن، وتعلن أن هذه المحبة تطول كل شيء وخاصة الأمور المرّة والحزينة. انها تحتفل بانتصار محبة الآب في قيامة المسيح.

٦- في الليتورجيا الافخارستية، تصبح الجماعة المسيحية كنيسة اللّه . بينما يصبح كل عضو من أعضائها "تقدمة حيّة وتامة لمجد الآب". فالعمل الثالوثي هو في أساس هذا التحوّل وفي أساس ارتباط كل فعل من أفعال الأشخاص الثلاثة بفعل الآخر ارتباطاً وثيقاً ومتيناً.

فالجماعة تتحوّل الى كنيسة عندما تحتفل بالافخارستيا. لكن الليتورجيا كاحتفال لا تكفي إذ إن على الجماعة أن تكمل ما تلقته في الليتورجيا وذلك من خلال العمل اليومي. وبالعكس، ان عمل المسيحي الذي لا يستند الى الليتورجيا يتحوّل عاجلاً أم آجلاً إلى عمل بشري. فالروح القدس يوجّه الجماعة نحو الليتورجيا لأنه يعرف أن اساس عمله فينا يأتي من ارتباطه برسالة المسيح وحضوره الفصحي. والغاية من المشاركة في الليتورجيا هي أن يصبح كل واحد تقدمة حيّة في سبيل اخوته فتتحقق إذ ذاك وحدة الذبيحة في جسد المسيح، فتكون الجماعة كلّها ذبيحة حيّة تكمل عمل المسيح الخلاصي .

عمل الثالوث الأقدس في سرّ المحبة

نقول مع الإنجيلي يوحنا إن "اللّه محبة" (١ يو ٤/٨) . وعندما نؤكد هذا ونعلنه فعل إيمان، فإننا نعرف أن اللّه أراد أن يشرك البشر في محبته فأرسل ابنه الوحيد يسوع شاهداً لمحبة الآب وحاملاً لها فيضاً لا حدّ له . والمحبة بذلك لم تعد فكرة مجردة، بل انّا شاهدناها وخبرناها في كائن معين هو يسوع المسيح.

والابن الوحيد، الذي أصبحنا فيه ومن خلاله أبناءً، ترك لنا الروح القدس، الروح المعزّي الذي يعلّمنا أصول الحياة المسيحية وكيف نعيش المحبة الحقيقية في إطار الجماعة المسيحية التي عليها أن تكون شاهداً لمحبة المسيح.

واللّه أراد أن يشركنا في محبته وأن يعلمنا ماهية المحبة التي لا حدّ لها ولا غشّ فيها، لأن الإنسان كان يفتش، ولا يزال، عن المحبة الحق. فأن نحبّ الآخرين هو مغامرة إنسانية، من أجمل المغامرات وأخطرها. فالمحبة مغامرة خطرة لأن هناك خطراً إلى ما هو النقيض لها وأن تقع في شرك الوهم والإدّعاء والأنانية وحب المظاهر. فهذا كلّه يتخذ أحياناً، ودون وجه حق، اسم المحبة. والخطر في المحبة أحياناً هو في أن نرفض حتى مبدأ الاختلاف مع الآخر فتحدث اذاك نزعة إلى الاستئثار والسيطرة عليه، وإرادة في أن يذوب فيك أو أن تذوب فيه. فالمحبة تقوم، كما يعلمنا الانجيل، على قبول الآخر بخصائصه وهويته وحتى سيئاته، لا على سلب حريته وشخصيته.

كيف نحيا المحبة الحقيقية في علاقاتنا البشرية ؟ نأخذ هنا مثل الصداقة بين شخصين، والعلاقات العائلية والحياة الزوجية .

أ – المحبة الثالوثية في الصداقة

الصداقة هي علاقة نختبرها، ربما أكثر من مرة، في حياتنا . فالصداقة التي هي مزيج من الاحترام والأمانة والرغبة في مقاسمة الآخر همومه وأفراحه، أفكاره وطموحاته، لن تنجح ولن تنمو حقيقةً إلاّ إذا قبل الصديق بأن يكون صديقه متميّزاً عنه فتكون له أفكاره وذوقه وإحساسه فلا يتخلى عن ذلك إكراماً له ويفقد أساسات شخصيته . والصداقة لن تنجح كصداقة وعلاقة محبة الاّ إذا قبل الصديق أن تكون للآخر دعوته المميزة التي لا يستطيع الصديق الأول أن يحققها والتي لا حق له أن يوجهها بحسب رغباته . فالكثير من الصداقات تسقط وتندثر لأنها تقوم على محبة الذات أو الحاجة بأن أمتلك شخصاً أجد فيه اللذة والأمان . والويل لذلك الصديق إذا ترك صديقه ...

هذا النوع من الصداقات قد لا يدوم طويلاً ويتهاوى لأنه يتحول الى تبعية ومحاكاة للآخر . فبعض الأصدقاء يتحاشون التسبّب في ألم لأصدقائهم ويلبّون

كل رغباتهم فيعمدون الى التبعية ليكونوا سعداء وفرحين . ولكن هذه السعادة لا تدوم ولا تثبت طويلاً، عدا أن في هذه المحاكاة تخلياً عن الغنى الخاص بكل فرد، وهدماً لهويته وقبولاً لهوية الآخر عن أنانية وعن حبّ الاستعباد .

ب - مثل علاقة الوالد والولد

من الوالدين من يخطط للولد ما عليه أن يفعله في المستقبل، فيطلب منه أن يتبع وصيته ليجني من ذلك خيراً . ولكن الولد لا يرى في ما يخطط له طريقاً ملائماً له ولامكانياته ورغباته. فإذا كانت رغبة الوالد في أن يكون ابنه طبيباً، فان الولد يجد نفسه راغباً في مهنة المحاماة مثلاً. وهذا التضارب في المواقف هو سبب الكثير الكثير من القطيعة بين الوالدين وأولادهم: فالوالد ينسى أنه لا يستطيع أن يصنع هو نفسه مستقبل أولاده . فالمستقبل هو ثمرة حوار وتمييز بين الولد والوالد وهو ليس مستقبل الوالد بل الولد الذي هو ملك لنفسه ولله . فالمطلوب هو التربية والتأديب والتثقيف، أي بناء شخصية إنسان عليه أن يحقق مشروعه في الحياة، لا أن يسير الولد بحسب خطة موضوعة سلفاً، لا دور له فيها. فالمحبة تقوم هنا في مساعدة الولد على بناء مستقبله، وتقوم أيضاً في ألا ينفي الابن وجود الاب من وجوده الخاص وكأنه لم يكن، فيرى فيه خير محاور وصديق له. هذا المثل الواقعي يدعو الوالدين وكذلك الابناء الى استكشاف حياة الثالوث حيث العلاقة تقوم على المحبة الكاملة حيث إن كمال الواحد هو فرح الآخر وكماله.

ج - الحياة الزوجية

من غايات اتحاد الأجساد والقلوب تغيير مجرى حياة كل من الزوجين : "سيكونان اثنين في جسد واحد"، يقول بولس الرسول . فالواضح أنهما اثنان، لا واحد، وهذا ما يدفع الاثنين الى قبول الواحد الآخر في تمايزه . فالزواج الحق يؤكد الغيرية بين إنسان وآخر من ناحية، ويصهر الاثنين في بوتقة مادية وروحية لا اختلاف فيها، وهو أبعد من أن يكون ذوبان الواحد في الآخر أو تسلط الواحد على رفيقه. هو الوحدة التي أساسها المحبة الواعية الواثقة.

فمفهوم الزواج المسيحي هذا يجعل من الحياة الزوجية ذبيحة ودعوة.

فالذبيحة لا تعني هنا الألم والعناء بقدر ما تعني العطاء في الحب. فعلى كل واحد أن يقبل قرينه وأن يكون متنبهاً لحاجاته ورغباته، لا أن يفتش عن تحقيق رغباته فقط. فالزواج هو في الحقيقة مغامرة روحية كبرى، تدفع الإنسان إلى أن يتشبه بفقر اللّه وتواضعه عندما تجسد بيننا .

د - الجماعة المسيحية

والجماعة المسيحية، الكنيسة، أليست مدعوة إلى أن تكون شركة على مثال الثالوث القدوس، اللّه ؟ فالكتاب المقدس يعلمنا أن الشركة، شركة المؤمنين، هي اشتراك سرّي في الحياة الالهية الثالوثية واتحاد شخصي وجماعي بالآب والابن والروح القدس، اتحاد بالآب اللامنظور بواسطة الابن يسوع المسيح (١ يو ٣:١) في الروح القدس (٢ قور ١٣:١٣) وهذا ما يشكّل واقع المسيحية (Koinonia). ففي العهد الجديد، العلاقة بالله الثالوث هي الطريق الملوكي الذي تسير عليه العلاقات بين المؤمنين أنفسهم، من خلال علاقاتهم المشتركة باللّه، في المسيح والروح (١ يو ٣:١) . الا أن هذه العلاقات يتهدّدها دوماً الأنانية التي من ثمارها الحسد والحقد الأعمى والتكاذب ... وهذا ما يجعل القاعدة التي تقوم عليها الجماعة المسيحية تهتزّ بعض الشيء فتبدأ القطيعة ويحلّ التباعد والتنافر . إلاّ أن الروح القدس، وهو قوة المصالحة بين الأقربين، لا يزال يعمل في الجماعة المسيحية، جماعة المؤمنين بالمسيح، ليوحّدهم في جسد واحد هو جسد المحبة، المؤلّف من أعضاء مختلفة متنوّعة، لكلّ منه ميزته وشخصيته .

هـ - الحياة الرهبانية

إن الراهب، أكان في الحياة التأملية الصرف أم في الحياة التأملية والعملية في آنٍ واحد هو من يسعى إلى توحيد كيانه في اللّه، فيتحررّ من الرباطات كافةً ليرتبط باللّه نفسه، منشداً الحرية الحقيقية. فالراهب يصغي الى كلمة المسيح القائل: "اترك كل شيء واتبعني" (متى ١٦:٢٤)، فيسير مع المسيح نحو الآب، مصدر كل خير ونعمة، بقوة الروح القدس، مصدر كل المواهب وموزعها على المؤمنين .

فإذا كان الاختيار الفردي يقوم على علاقة بالله الثالوث، فإن حياة الراهب ترتبط بالجماعة الرهبانية أو الديرية التي يجتاز الراهب بواسطتها، "الأنا" الفردية المنغلقة على نفسها إلى "الأنا" الروحية الناضجة، حيث تقوم الجماعة بدورها التربوي، فيكتشف الراهب معنى "الأب" الذي يصغي ويقبل طاعة "الابن" بأن يكون للمسيح في حياة الروح . فمثال الحياة الرهبانية الأعلى هي أيضاً "الشركة الثالوثية"، شركة المحبة : الا أن الخطر الداهم هو أن تقود الحياة الرهبانية الى نوع من العزلة القاتلة، أو الى الاختلاف فنشوء الفِرَق ...

محبة الثالوث – اللّه القدوس، مقياس الحياة المسيحية

بماذا يفيدنا الله الثالوث الأقدس في هذه الحالات كما في حالات أخرى شبيهة لها ؟ هل للوحي المسيحي بالإله الواحد في ثالوثيته مكان ما في ما يخصّ الحياة الأخلاقية والأدبية وبالأخص في ما يتعلقّ بمحبة الإنسان لأخيه ؟

الثالوث القدوس، في وحدانية المحبة وحركتها، يستطيع إن يكون المقياس الذي تخضع له الحياة البشرية. فعلى كل محبة بشرية أن تتعلم من خلال مشاهدة حياة اللّه كيف تكون المحبة. ومن أُعطيت له نعمة المعرفة، يستطيع أن يعرف كيف عليه أن يحيا المحبة .

ان الوحي الذي تحقق في الله – الثالوث يتيح لنا أن نرى في الروح جذور الموقف الروحي الصحيح الذي يقضي بأن نحب باذلين ذواتنا . إننا نجد في اللّه مبدأ القبول بالتمايز والغيرية وبالتالي الرفض المطلق للتسلط وإذابة الآخر .

١ – الاعتراف بالغيرية والتمايز في الله :

اللّه هو الآخر بالفعل، وهو المختلف جذرياً عني. وسرّ التجسد هو تأكيد قاطع لهذه الغيرية، لا كما يدّعي البعض زوراً. انه لا ينفي الغيرية بل يثبتها ويعطيها بعداً اختبارياً عميقاً . فالابن يسوع الذي "أتى الى خاصته"، انما يأتي من عند اللّه، أي من عند الآخر الذي هو اللّه، الذي لم يره الا الابن الوحيد، وهو في الله .

وسرّ التجسد يكشف لنا عن حركة المحبة في الله . فالله الآب يهب نفسه

للابن وبذلك يعلن عن نفسه بأنه أبو ربّنا يسوع المسيح. وكل أبوّة حقيقية هي خروج من الذات وقبول بعدم العيش للذات، بل هي عطاء تام للذات. وهذا السرّ هو أبدي، أي اننا لا نستطيع القول، كما كان يقول آريوس: "كان هناك زمن، لم يكن فيه الابن موجوداً" . هذا ما رفضه آباء مجمع نيقيه عندما عارضوا آراء آريوس وعندما أعلنوا جهاراً بأن يسوع المسيح، الكلمة، في الزمن هو تأكيد بأن اللّه هو ثالوث وليس فرداً منغلقاً على ذاته. فاللّه هو شركة محبة، هو اللّه الذي يعطي ذاته . ولأن المحبة هي الواقع الحيّ والحقيقة الأساسية في الله، فان الروح، روح المحبة، الصادر عن الآب والمستقر في الابن، هو الذي يرافق يسوع في مختلف طرق الرسالة حتى الصليب والقيامة . فالروح هو روح المحبة الذي يبقى زاد يسوع والحارس الأمين لثقة يسوع بالآب. هو روح الوحدة الجامعة بين كيان وكيان، بين أنا وأنت والجامع بين الاثنين. في الوحدة الفرح والايمان.

٢ - الثالوث القدوس يعلّم المحبة الحقيقية والوحدة التامة :

- بالنسبة للآب، الابن هو الآخر، والقبول بهذا الواقع يعني أن الآب يقبل بهويته الالوهية كآب. فمحبته هي محبة أبوية كاملة، كما أن محبة الابن هي محبة بنوية كاملة وهذا يعني تساوياً وعينية ضمن التمايز . فالآب لا يريد أن يجعل من الابن أباً بل كل بغيته هو أن يحقق الابن نفسه كابن . وهو لا يستطيع أن يطلب منه ذلك وإلاّ فقد الابن هويته وكذلك الآب .

- أمّا الابن فهو لا يستطيع أن يحقق دعوته كابن الا بتأكيده على أن الآب هو آب، أي بقبول الآب كمختلف عن الابن الذي يقبل بفرح كلمة الآب القائلة : "كل ما هو لي هو لك" . والابن يعرف بأن عليه أن يقبل برفع كل الأشياء للآب وبأن عليه أن يخضع له كل ما في الأرض والسموات . فهذه هي المحبة الحقيقية التي تتميز بفقرها - فقر الآب الذي يعطي كل ما له للابن وفقر الابن الذي يرفع كل شيء للآب . فالابن يدعونا إلى عيش هذه المحبة التي تتميز بفقرها في علاقاتنا البشرية. وهذه المحبة هي الشرط الأساسي للاعتناء والنمو الذي مقياسه الفرح الذي يدوم . وإذا تأكد للإنسان بأن هذا الموقف الروحي هو من اللّه وفيه، يستطيع هو أيضاً أن يقبل هذا الطريق الصعب فيتخلى عن الأوهام

والأنانيات وخداع البصيرة ليحقق في حياته اليومية صورة اللّه التي ختمها المصلوب في قلبه.

- هذا التشكّل بالله والمحبة الثالوثية لا يكتمل إلا بمجيء الروح القدس، مثال المبادلة والقبول بالآخر. فالروح الذي أرسله الابن من عند الآب يسكن في حياة كل مؤمن. فالإنسان، وبالأخص المؤمن، لن ينجح في أن تكون علاقته بأخيه مستمدة من اللّه، إلا إذا كان الروح القدس هو الذي يحيا فيه من خلال النعم والفضائل والمواهب التي يوزعها الروح نفسه علينا . فلا حياة ثالوثية الا بحضور فاعل للروح الحيّ، الذي يستطيع وحده أن يحقق فينا صورة الابن وأن يقودنا بمعية الابن نحو الآب السماوي .

إن الإيمان بالثالوث القدوس، كسرّ المحبة الفاعل في الحياة المسيحية، يفترض من جانبنا أن نقبل بأن العالم ثمين في نظر اللّه وأن الاخوّة أمر ممكن بين البشر . فاللّه خلق العالم وجعلني مسؤولاً عن هذا الخلق ومدعواً للمشاركة في بنائه وافتدائه. واللّه أحبّ العالم حتى أنه جاد بابنه في سبيل تحرير البشر من العبودية. واذا اعتبرنا أن الأخوّة هي أمر ممكن، فإن للكنيسة دوراً أساسياً في هذا المجال عندما تكون بحقّ كيان الإنسان الجديد. "فمن أحبّ يعرف اللّه" والكنيسة مدعوة إلى اعلان هذه البشرى .

خاتمة : سرّ الثالوث القدوس ونضوج المؤمن الروحي

بالإمكان القول إن هناك نضوجاً روحياً عندما نعترف ونقبل بأن اللّه هو اللّه وأن الإنسان هو الإنسان أي هناك اختلافاً بين الله والإنسان. ينضج الإنسان روحياً عندما يقبل بأنه مخلوق، وبأن مصدر حياته هو الآخر . وهذا لا يكون تحت الاكراه أو الضغط، بل ثمرة علاقة حرة باللّه .

ولا ينضج المؤمن روحياً إلاّ عندما يقبل بأن يسير مع الابن يسوع نحو الآب. وعندما نقول بأن عليه القبول بالسير، هذا يعني أيضاً أنه لا يستطيع السير وحده نظراً لضعفه وللقيود التي تكبله والقلق الذي يساوره. يمشي مع يسوع أي

أنه بحاجة الى نظرة رحمة يلقيها عليه فتنعشه وتمكّنه من أن يسير متعافياً بقوة الإيمان .

وهذا النضوج الروحي هو في صلب مسيرة روحية يعيشها المؤمن تحت كنف الصليب، لأن الصليب هو الذي يجعلني أرى الغيرية بيني وبين الآب والابن وكيف ان الابن هو الذي يخلّص بقوة موته وقيامته، أي أنه، بصليب المحبة، يتلقى الخطيئة ويعلن عطف اللّه وحنانه على البشرية . هو الابن الذي يكشف من على صليبه قلة إيماني أو إيماني الضعيف أو إيماني الوسط أو تقلباتي وشكواي ويدعوني بالتالي إلى أن تكون ثقتي باللّه مثل ثقته أو بالأحرى أن أقبل منه هذه الثقة أو هذا الإيمان من على صليبه، صليب الموت، بأن اللّه محبة وبأنه حاضر دوماً في حياتي.

إن النضوج الروحي هو في صلب الحياة الثالوثية، والمؤمن مدعو الى مشاهدة التدبير الثالوثي ليرى في هذا التدبير مثالاً للمسيرة التي عليه أن يعيشها من جانبه.

- فاللّه هو الآب الذي سلّم الابن الوحيد للموت في سبيل البشر، لا لأنه يريد أن يميت ابنه، بل لأنه يخاطر عندما يدعو الابن الى أن يأخذ صورة العبد، صورة البشر، والبشر يموت .

- اللّه هو الابن الذي يقبل أن يأخذ عليه بشريتنا، وأن يكشف لنا أنه ليس الآب وهو متميز عنه. والابن عاش بيننا دون أن يسعى للعب دور الآب، بل أنه علّم التلاميذ أن الآب هو الآب وان الابن لا يحلم بأن يكون الآب ويستولي عليه. وهذا الابن عاش محنة الصليب دون ان يقع في فخ تجربة انعدام الثقة في حضور الله .

- والروح هو قدرة المحبة التي توحّد وان في الله الآب قدرة عطاء تجاوبها عند الابن قدرة قبول واعتراف بالعطيّة .

المجتمع البشري، ايقونة الثالوث

بقلم جاد حاتم

١ – مقدمة نظرية

بين الثالوث، بصفته مجتمعاً إلهياً، والمجتمع البشري تماثل ما كشف عنه العديد من اللاهوتيين. أمّا الحقيقة فهي أدق. فالكتاب المقدّس يعبّر عن الثالوث على أنه في آنٍ معاً مبدأ ومثال العلاقات بين البشر. يورد يوحنا في انجيله هذا الكلام ليسوع: "فليكونوا بأجمَعِهم واحداً: كما انّك فيَّ يا أبتِ، وأنا فيك. فليكونوا هم أيضاً فينا ليؤمنَ العالم بأنك أنت أرسلتني . وأنّا وهبتُ لهم ما وهبت لي من المجد ليكونوا واحداً كما نحن واحد : أنا فيهم وأنت فيّ لكي يصيروا مكمَّلين في الوحدة" (يو ١٧: ٢١-٢٣) .

إن عبارة "كوينونية" التي تعني عند افلاطون المشاركة في فكرة أو الجماعة الرابطة أو المجتمع (راجع كتاب الجمهورية، ٣٧١ ب) أو الوفاق، مستخدمة عند يوحنا بمعنى المشاركة بين الناس (١يو ١: ٧) وأيضاً مشاركة الرسل للآب والابن (١ يو ١: ٣) .

الآباء وسّعوا معنى العبارة بحيث تشمل وحدة الأقانيم في الثالوث والتي هي في شركة بينها حسب ما جاء عند القديس باسيليوس(١). ولا يغفل الكبادوكي الكبير، بالطبع، ردّ الكلمة إلى روابط المشاركة الإنسانية(٢) ويقترح مماثلة سريعة

(١) **المقالة في الروح القدس**، فصل ١٠، ف ٢٤، فصل ١٨، ف٤٦.
(٢) م. ن. فصل ٣٠، ف ٧٧.

بين الشركة الثالوثية وشركة الناس[٣]. وفي عظة له يدفع بالمماثلة إلى حدّ التشابه المعنوي: "صرتَ مشابهاً للّه بالصلاح والصبر والتفهم من خلال محبة الآخرين ومحبة الاخوة وبغض الشرّ والسيطرة على أهواء الخطيئة حتى تستحق سلطان الأمر"[٤]. إن هذا المقطع من حيث اندراجه في سياق فصل عن صورة اللّه (Imago Dei) لافت من حيث أنه يضيف الشركة إلى الفضائل الإلهية التي يجب على الإنسان الاقتداء بها والشركة لا يمكن أن تعني، في هذا المجال وحدة الجوهر بل تفترض اتفاقاً بين مختلفين اي الاجتماعية (socialité).

واذا ما انتقل استخدام هذه الكلمة إلى صعيد الثالوث فهي تكتسب قيمة جدلية اذ تعني، عندها، الاشتراك في الجوهر والعلاقة بين الأقانيم. ففي "كوينونية" الالوهة تكمن الوحدانية كما يقول باسيليوس[٥]. أمّا غريغوريوس النيصوصي (في الرسالة ٣٨ من الرسائل المنسوبة إلى باسيليوس) فيستمد "الكوينونية" من وحدة الجوهر[٦] . كلّ قضية من الاثنتين تفترض الأخرى لأن يقول غريغوريوس : "الشيء هو متحّد ومتمايز بآن وندركه، كما في اللغز، نوعاً من الانفصال المتحد جديداً وغير مألوف في الوقت نفسه اتحاداً منفصلاً"[٧].

إن "الكوينونية" بمعنى "الاجتماعية" تتأسّس على العلاقات بين الأقانيم فيما تنطوي، اذا ما استخدمت بمعنى وحدة الجوهر، على معنى وحدة الطبيعة. هناك، اذاً، مدلولان للوحدانية : واحد أصلي من غير تماثل مع الإنسان والآخر مشتق من شأنه أن يشكّل نموذجاً .

الآباء الآخرون لم يذهبوا إلى أبعد. فالقديس يوحنا الدمشقي وقد استخدم عبارة "كوينونية"، يؤكد أن الأقانيم الثلاثة في شركة[٨] تتصل بوحدانية الجوهر

---

(٣) م. ن. فصل ٢٥، ف ٥٩.
(٤) **أصل الإنسان**، باريس، ١٩٧٠، ص ٢١٦ - ٢١٧.
(٥) **المقالة في الروح القدس**، فصل ١٧، ف ٤٥.
(٦) الرسالة ٣٨، ف ٤.
(٧) م. ن.، ٥.
(٨) **الإيمان الارثوذكسي**، فصل ٨.

ويبرز الفارق الواضح بين صيغة الكينونية الثالوثية وصيغة كينونة الخليقة. إن تبيان الفارق يتطلب تذكيراً سريعاً بفكرة التساكن التي تحتل منزلة خاصة في هذا البحث. تنطلق الفكرة من التأكيد على وحدة الآب والابن (يو ١٠:٣٨) والتي يعلّق عليها الدمشقي قائلاً : "نقول إن الأقانيم كاملة كي لا ندخل الاختلاط إلى الطبيعة الالهية لأن الاختلاط هو مبدأ الانفصال. ونقول، من جهة أخرى، انها الواحد في الآخرين حتى لا ندخل التعدد أو كثر الآلهة. هكذا فقولنا بالأقانيم الثلاثة من غير اختلاط أو تشويش ومن خلال وحدة الجوهر وكونها الواحد في الآخرين ولها ذات الارادة والفعالية والقدرة والسلطان والحركة، هو اعتراف ان الله واحد وبلا انفصال"(٩) ويضيف "ان الأقانيم تتأسس وتستقر الواحد في الآخرين لأنها غير قابلة للانفصال أو الانقسام لا بفعل الاندماج أو الاختلاط بل بفعل حمل الواحد للآخرين. لأن الابن هو في الاب والروح والروح في الآب والآب في الابن والروح من غير اندماج أو امتزاج أو اختلاط. وبينهم كما هي ووحدة في الحركة لأنه يوجد زخم واحد في حركة واحدة للأقانيم مما لا نجده في الطبيعة المخلوقة"(١٠). فعند الناس، مثلاً، ليس الأشخاص الواحد في الآخرين بل هم متميزون في الزمان والمكان وبالخصائص والارادة(١١).

سنحاول تجاوز هذا الانقسام وتبيان سبب وكيفية اعتبارنا ان الشركة الإنسانية ليست بلا قياس (analogie) مع الالهية. ولكننا نؤكّد على تمايزها ولا نقبل بالقياس إلاّ على صعيد العلاقة .

المبدأ الذي يحكم الحياة الالهية هو ذاته الذي يجب أن يحكم مجتمع المسيحيين.

ان تساكن المحبة بين الآب والابن، أشرك، بفضل التجسّد، البشر وجذبهم

(٩) المصدر السابق

(١٠) م. ن.، فصل ١٤.

(١١) م. ن.، فصل ٨.

(١٢) أقول : في الكمال لأن هناك سبيلاً شيطانياً للاتحاد والتداخل. (راجع ١ يو ٣:٤

إلى حركته. لذا تكون جماعة في اللّه، عندما تكون متحدة في الكمال[١٢]، لأن اللّه صلة محبة وعطاء لذاته. هو التجسد الذي يجعل الوحدة البشرية الحقّة ممكنة والمسيح صانعها. القديس بولس يُشبِّه الكنيسة بجسد المسيح (روم ١٢:٤- ٥، ١ قور ١٢:١٢-٢٧)، وسبب ذلك أن المسيح كائن في كل عضو من الجماعة، ويكمّل الربّ بقوله : "أنا فيكم وأنتم فيّ" نقرأها عند يوحنا (١٤:٢٠)؛ حسب بولس المسيح يعيش فيه (غل ٢:٢٠).

المسيح في كل واحد لأن الآب ساكن فيه. لنقرأ مجدداً العبارة: "ليكونوا واحداً كما نحن واحد : أنا فيهم وأنت فيّ". فهي تترجم حركة المشاركة النازلة التي تأخذ بالإنسان وتوحّده بالخالق، فتصهر البشر بعضهم ببعض بوسيلة روحية دون فقدان شخصية الفرد.

إن تساكن الآب والابن يصبُّ في تساكن الابن والمسيحيين الذين يتبناهم الآب. وهذا ما يجعل التداخل القياسي ممكناً لهؤلاء. أسمّيه قياسياً لعدم التطابق بينه والتداخل الالهي حيث وحدة الأقانيم جوهرية، أمّا وحدة الأشخاص في المجتمع البشري فتصهر جواهر متعددة (البشر يشتركون في الطبيعة دون الجوهر العددي أي الجوهر نفسه)[١٣].

بديهي أن التساكن الذي يؤدّي إلى التبني يعتمد على التساكن المسيحاني الذي يُشرك المؤمنين في نعمة التجسّد . إن تعبير "فيرخوريس" استعمل بادئ ذي بدء في المسيحانية. على غرار التساكن المسيحاني ان تساكن التبنّي يتميّز عن التساكن الالهي والتساكن البشري، من ناحيتين : (١) **إخلائية** : فاللّه في حركة تنازله يحلّ في البشر ويتيح لهم الحلول فيه. (٢) **اتخاذية** (assomptif): لأن هذا التساكن مؤلّه. هذا الدور أخذه الروح القدس على عاتقه.

ولأن تساكن اللّه في ذاته فهو يريد المشاركة[١٤]. لذا يخلق كائنات على

- ١،٤ يو ٥:١٩).

(١٣) راجع توما الاكويني : **الخلاصة اللاهوتية**، الكتاب الأول، السؤال ٤٢، المقالة ٥.

(١٤) راجع كارل رهنر : **اللّه الثالوث، الأساس المتعالي لتاريخ الخلاص**، في سرّ

صورته يدعوها إلى وجود تساكني. القديس بولس استنتج أن الأبوّة الالهية هي بالفعل أساس الأبوّة الإنسانية: "أجثو على ركبتيّ للآب، فمنه كل أبوّة في السماء والأرض" (اف ٣:١٤-١٥). ولمّا كان الله الآب أساس الأبوّة فهو أيضاً مثالها .

هذه المقدمة أفسحت لنا المجال لمعالجة موضوعنا : "المجتمع البشري، أيقونة الثالوث" في فصلين : العائلة والمجتمع. العنوان يحدّد الإطار. لا يدخل في صلبه تحليل آثار الثالوث في الخليقة أو قياسات الثالوث النفسية والاجتماعية[١٥] .

٢ – العائلة

ان العائلة مدعوّة إلى **توحيد** عدد من الأشخاص بواسطة رباطَي الطبيعة والروح اللذين يدفعان أفراد العائلة إلى التحاب، والمساعدة المتبادلة والشعور المشترك، وان دعت الحاجة إلى العمل بإرادة واحدة .

إن العائلة تكرّر أشكال التساكن. فهبة الذات المتبادلة التي هي عربون وفاء الزوجين **تشبه**[١٦] علاقات الأقانيم الالهية. الشخص في كليته مُهدى إلى الآخر دون امتزاج ودون تخلٍ عن الذاتية. ان الاتحاد الزوجي أخطر وأصعب من الاتحاد الثالوثي لأنه يجمع شخصين مختلفين يستطيع كل واحد منهما أن يكون بمفرده أو أن يجتمع بشخص آخر، لكنه يختار بين العديد فرداً واحداً ذا ارادة معتوقة. يبقى الاتحاد الثالوثي الجوهري مثالاً لا يمكن لأحد أن يحققه، كونه مغايرا لأي اتحاد. فليس في الثالوث لقاء ثلاثة متغايرين بل لقاء ثلاثة من الجوهر ذاته. أمّا في الزواج، فاثنان يصيران واحداً : "يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصيران جسداً واحداً" (تك ٢:٢٤) .

ان الحبّ الزوجي، على صورة الثالوث الذي ينقض ضربين من الحبّ، الحبّ

---

(١٥) راجع محاضرتي في هذا الموضوع في **الثالوثيات، مقاربات معاصرة**، مجلس كنائس الشرق الأوسط، قسم الإيمان والوحدة، إعداد موريس تاوضروس وطارق متري (١٩٨٨) .

(١٦) أعود وأؤكد ان التشابه القياسي ينفي التطابق المطلق بين طرفي التشابه.

المطلق للذات وحبّ الآخر الأناني الذي لا يُنجب (حبّ ربما كان فقط انانية مشتركة)، يكتمل بالولادة، بالخروج من الذات عبر المحبوب. يرى الوالدان في ولدهما شخصاً آخر هو من ذاتيتهما، ويعكس صلة الحب التي تربطهما، كما يعكس انفتاحهما على الآخرين ويدفعهما إلى بناء العلاقة الروحية على أساس طبيعي : ان العلاقة الروحية بين الرجل والمرأة تنعكس في العلاقة الجديدة مع الولد الامر الذي "يُطبْعِن" العلاقة الزوجية. فمن خلال الولد المشترك تستمر العلاقة، رغم تبدّل معالمها في مخلوق مستقل، اللحمة الجنسية (الجسد الواحد الذي يضحى جسداً مستقلاً) . بالمقابل، يجب على العلاقة الطبيعية أن تترَوْحَن لأن الإنسان مدعو إلى تخطي المدى الطبيعي الصرف، ولكن هنا، أي ضمن العائلة، يتخطاه من الداخل أي دون أن يسحق العائلة : الأهل والأولاد لا ينفصلون، كما أنهم ليسوا مدعوين إلى التباغض بل عليهم أن يرفعوا الطبيعة إلى مستوى الروح بقبول كل فرد الآخر وبالانصياع للعدالة التي يجب أن تكون أسمى من علاقة الدم. أمّا هذا القبول وأمّا هذا الانصياع فلا يتحققان الاّ نتيجة قرار حرّ. ان حب الأهل والأولاد والحب الأخوي، ينميان كأنهما غير طبيعيان دون أن يفقدا يوماً أساسهما الطبيعي، وكأن اختيار الأهل أولادهم والأولاد أهلهم قد تمّ مسبقاً .

تلتقي حركتان في حياة العائلة : طَبعنة الحب الزوجي وروْحنة علاقة الدم. في هذا الالتقاء تُقرّب العائلة مثالها من مثال حياة الثالوث حيث من الطبيعة الواحدة تنبثق علاقة روحية مثلثة الأطراف .

الحياة الروحية التي تسري في العائلة هي حب، وفاء، مسؤولية، تربية، طاعة. في الحب نرى ذلك العطاء الحرّ الذي يميّز أقانيم الثالوث، في الوفاء يبرز طلب لصلة يريدها الزوجان دون انفصال، في المسؤولية التزام لخير الآخر، في التربية تنكشف إرادة الأهل في تنمية الفرد، في الطاعة قبول لقيم سامية واحترام موجه الى والدين تخلّيا عن الأنانية .

وأخيراً، يبرز حبّ الأخوة شكلاً أساسياً من أشكال التساكن اذ يضاعف مساواة الطبيعة والمقام بتبنٍّ متبادل .

٣ - من العائلة إلى المجتمع

إن تحليل العائلة قد أبرز في الإنسان استعداداً إلى الانفتاح على الآخر. إن الإيمان يعلّم ان الله هو أساس العلاقات البشرية كما هو، في آن، شريك فيها لأن كل امرئ هو قائم أمام اللّه. تشتبك جذور المجتمعية البشرية فيه بجذور المجتمعية الالهية .

ان الاجتماعية هي، في الحقيقة، حسب كارل بارت، معنى خلق الإنسان على صورة الربّ . ففي الله تواجه ولقاء حرّ : في اللّه أنا وأنت، أي تبادل يتكررّ في الإنسان أولاً عند لقاء اللّه للإنسان ثم في مواجهة الإنسان للإنسان . فالمرء مثل الله ليس في طبعه منعزلاً بل انه متضامن، متكامل مع غيره . يزيد بارت أن الأنتَ الأول هو بالنسبة للرجل المرأة وبالنسبة للمرأة الرجل، وكل واحد منهما هو قريب الآخر بالمعنى الأسمى للكلمة[(١٧)] .

من الأصح الاكتفاء بما يسميه بارت "الشكل الأساسي للإنسانية" الذي يحدّده كالآتي : "إن إنسانية كل إنسان تصنيف لكينونته تجعله قابلاً أن يتعايش مع القريب"[(١٨)]. لا يستنبط بارت هذه الحقيقة من الإنسانيات بل من المسيحانية التي تكشف عن هوية يسوع الخاصة : إنه كائن - للإنسان . فلا يكمن هذا الاستعداد في امرئ دون أرضيّة عامة تجعله قابلاً لهذا الانفتاح الكلّي . هذه الأرضية هي : كائن - مع - الإنسان أي التعايش .

أودّ أن أستنبط أنّ حبّ البشرية الكامل "فيلانتروبيا" يستعملها بولس لوصف اللّه (تث ٣:٤)، ان لم يكن في متناول الإنسان، فهو الوجه الحقيقي للتعايش. صحيح ان الخلاص لم يأتِ الاّ بواسطة المسيح، لكن هذا لا يمنع عند البعض، كما نراه عند التلامذة المبشرين، نشوء دعوة اجتماعية تكون المصحّح للخطيئة ووسيلة للتشبه بالمخلّص. من ناحية، لا يمكن حصر بنية الغيرية على شخص الجنس المخالف - لأنه بذلك لا يدخل المرء أبداً نطاق المجتمع (وإن كان

---

(١٧) راجع كارل بارت، **العقائدية الكنسيّة**، الجزء الثالث، نظرية الخلق، ٤١،٤٥.

(١٨) **العقائدية الكنسية**، الجزء الثالث، الكتاب الثاني، الكراسة الأولى، ص ٢٦٣ .

ذلك الشخص مدعواً للعب دور جوهري خاصة لدى الدخول في المجتمع) . ومن ناحية أخرى، المسؤولية تجاه الآخر تكاد تتطور عند بعض النفوس الكبيرة إلى مسؤولية تجاه العالم أجمع . للتجسّد و "الفيلانتروبية" الالهية معنى مطلق يقضي ببعث روح المسيحانية أي الرغبة في خلاص الجميع، في كل إنسان .

٤ - المجتمع

وحده مجتمع التضامن والتكافؤ والمحبة على صورة الثالوث. فكما يدبّ الخلاف في عدد من العائلات، هناك مجتمعات قائمة على الصراع والتسلّط. بعض المفكرين واللاهوتيين تناولوا العلاقة بين الثالوث والمجتمع السياسي والاقتصادي .

عندما ننظر إلى المجتمع من حيث هو على صورة الثالوث، هناك من يشير إلى التماثل ومن يقول بالتطابق. وهذا الأخير يبدو، بدوره، مثالاً يمكن الوصول اليه .

أمّا الأول، فهو، في الغالب، شوِّه بفعل التحوّل عن معنى الجماعة، لمصالح أنانية تؤدي إلى الانقسام والتمزّق . والرابط الإجتماعي يتعرض للافساد .

المجتمع السليم مدعو أن يقيم توازناً بين وحدة جسده وحرية الأفراد الذين يؤلفونه. ان ما يقوله بولس عن الكنيسة، المجتمع الوحيد الذي يهدف إلى التطابق مع الثالوث، صالح كمثال بالنسبة لأي مجتمع إنساني. فكما أن وحدة الجسد لا تنفي تنوّع أعضائه الوظيفي، تضمّ الكنيسة مواهب مختلفة : النبوءة والخدمة والتعليم والوعظ والإرشاد. وعلى كل واحد أن يحقق موهبته وفق ما أعطي إليه (رو ١٢:٤-٨). عندئذ، وكما يقول كارل بارت "يحقق الشيء الواحد الذي هو كل شيء"[١٩]. الرسول بولس يوضح كل هذا في قوله اللافت : "فكذلك في كثرتنا جسد واحد في المسيح لأننا أعضاء بعضنا لبعض" (رو ١٢:٥). وهو في تشديده على التكامل بين المسيحيين في جسد المسيح ومن خلال تأكيد على

(١٩) كارل بارت، **الرسالة الى الرومانيين**، جنيف، ١٩٧٢،ص ٤٢٣.

دعوة كل واحد في خدمة الآخرين، يسعى إلى تعزيز علاقة محبة حرّة وجماعة أخوة وأخوات في عالم كالذي نعيش فيه، يرفع المسيحي مثال "الحب الأخوي" الذي يتحدث عنه بولس (رو ١٢:١٠).

لقد بيّن ايريك بترسون[٢٠] مضمون التوحيد السياسي أي في النظم حيث الحكم لشخص فرد أو طاغية. لقد وجد البعض في مفهوم الاله الأوحد ركيزة لهذه النظم. يذكر ارسطو كلاماً لهوميروس جاء فيه : "ان حكم الجماعة سيّئ، ليكن قائداً منفرداً"[٢١].

تطورت الفكرة عندما طابق فيلون اليهودي الاسكندراني الملكية المطلقة على الأرض بالملك السماوي المطلق. فمن ناحية يصف فيلون الله وكأنه ملك عزل من السماء حكم الفوضى[٢٢]. ومن ناحية أخرى يعتبر ان المونارخيّة البشرية (اي حكم المبدأ الأوحد أو الملكية المطلقة) هي صورة للمونارخية الالهية[٢٣].

وقد برزت الاريوسية وسيلة لصدّ محاولة العقيدة الثالوثية التي تحدّ من هيمنة فكرة المونارخية المطلقة. يقول بيترسون ان للمواجهة العقائدية آنذاك وجهاً سياسياً لأن "عقيدة الثالوث كانت تشكل خطراً على لاهوت الامبراطورية الرومانية السياسي"[٢٤].

ان الردّ على الاريوسية من جهة الآباء الكبادوكيين خفف من المونارخية بواسطة الثالوث يقول غريغوريوس النزيانصي : "ثلاثة آراء في اللّه كان الناس يتداولونها: لا سيد، عدة أسياد، سيد واحد. أولاد الاغريق تسلّوا بالرأيين الأولين: ليتابعوا فعلهم. دون سيد تتفشّى الفوضى، وفي تعدد الأسياد يدّب الخلاف والفوضى. الطريقان يؤديان إلى النتيجة نفسها: الفوضى فالخراب، لأن

(٢٠) Erich Peterson, *Monotheismus als Politishes Problem*, Leipzig, 1935.

(٢١) ارسطو، **ما وراء الطبيعة**، كتاب اللام ١٠٧٦أ، الياذة ٢:٢٠٤.

(٢٢) **في الناموس**، ف ١٥٥.

(٢٣) **في الأخلاق الحسنة**، ف ١٧٩.

(٢٤) بيترسون، م. ن.، ص ٩٥.

الفوضى تمهّد للخراب. أمّا نحن، فنكرم سيداً واحداً، وتلك الاحدية لا تتضمّن شخصاً فريداً، لأن الشخص الفريد أيضاً يستطيع أن ينقسم على ذاته وأن يصير متعدداً بل نتكلم على تلك الأحدية التي يكوّنها الاشتراك في نفس كرامة الطبيعة، وفي اتفاق الارادة. ان هوية الحركة والرجوع إلى الوحدة غير ممكنة في الطبيعة المخلوقة – بحيث ان القسمة العددية لا تسبب قسمة جوهرية . لذا، منذ الأبد، تصير الوحدة ثنائية وتنتهي ثالوثية"(٢٥) – يبدو لأول وهلة ان غريغوريوس يشارك فيلون الرأي، ولكنه لا يلبث أن يستبعد الوحدانية الالهية التي تسبب الانقسام : ارادة تعاكس ارادة، وكأن يقوم مثلاً صراع في اللّه بين الموافقة أو الرفض للخلق. طرح غريغوريوس هذا، على غرابته، يضفي على الثالوث صلابة لا يتمتع بها التوحيد المطلق. اذ ان التثليث يثبت أحدية الإرادة لأن الذات توافق على كيانها وكلمتها.

لقد بيّن كونغار ان عودة التوحيد في اللاهوت السياسي صارت ممكنة بفعل بطريركاليّة تنامت في المجتمع السياسي وفي الكنيسة على صعيد الممارسات التي تعامل المرؤوسين كأطفال يجري الاهتمام بمصالحهم من غير أن يشاركوا في إدارة شؤونهم وتحديد مفهومهم للواجب(٢٦).

يتابع مولتمان فكرة بيترسون، فيرى أن عقيدة الثالوث لم تستطع أن تزيل تماماً مفهوم المونارخية الالهية المطلقة، ليس الثيوقراطية(٢٧)، مثلما في بعض الأديان الأخرى بل في المسيحية أيضاً، كما في الملكية المطلقة المستندة الى الحق الإلهي. يتابع مولتمان على المنوال نفسه فيوجه الانتقاد إلى هيكلية الكنسية التي وحّدت في تطرفها المونارخي، الجماعات المسيحية، لكن على حساب روح

---

(٢٥) الخطاب اللاهوتي الثالث، **الباترولوجيا اليونانية**، الجزء ٣٦، ص ٧٦ أ – ب. (يذكر بيترسون هذا المقطع ص ١٥٤) .

(٢٦) Y. Congar, *Le monothéisme Politique et le Dieu Trinitié,* in Nouvelle Revue Théologique, 1981, 1, pp. 3 sv.

(٢٧) جورغن مولتمان، **الثالوث ومملكة الله**، باريس، ١٩٨٤، ص ١٦٨.

النبوّة[٢٨]. وهو يعتبر، مثلاً، ان السلطة البابوية تنتمي الى المقولة نفسها[٢٩].

إلى المدرسة عينها ينتمي ليوناردو بوف أحد أقطاب ما يسمّى "لاهوت التحرّر" في اميركا الجنوبية. يذهب بوف بالفكرة إلى اعتبار الاشتراكية والمشاركة والديمقراطية وسائل لا تتطابق مع الإيمان المسيحي فحسب، بل يستنبطها من عقيدة الثالوث . يقول مثلاً : "إن الثالوث هو مشروعنا الاجتماعي الحق"[٣٠].

خلاصة البحث في قضية المجتمع والثالوث ان المجتمعية من صميم البشرية. لكن بعض أشكال المجتمع، دون غيرها، تقترب من المثال الثالوثي: تلك التي ترتكز على المشاركة في السياسة مثلاً : النظم الديمقراطية في السياسة، السندوسية (المجمعية) في الكنيسة.

ممّا لا شك فيه أن مجرد استعراض الأنظمة السياسية التي تسمّي نفسها مسيحية يظهر لنا أن وجود علاقة مباشرة بين الإيمان والحياة الثالوثية من جهة، والديمقراطية والاشتراكية من جهة أخرى، شأن افتراضي بل محفوف بالمخاطر. ان الاستبداد الملكي والثلاثية القائمة على "الحق الالهي" يتعاكسان جيداً مع النزعة الى الجزم العقائدي. في هذه الحالة، تفقد فكرة الثالوث قيمتها المعيارية. بالمقابل، يستحيل إقامة علاقة ضرورية وماورائية بين هذا أو ذاك من الأنظمة الاشتراكية والديمقراطية والحياة الثالوثية. يُستحسن هنا، وأكثر من أي وقت مضى، التمييز بين المعيار المطلق والمقاربة الزمنية. ان بصيرة المسيحي ومستلزمات الواقع تملي عليه خياراً سياسياً.

أخيراً، أودّ التشديد على صعوبة إدراك جوهر اليهودية. فانطلاقاً من قراءة جزئية للكتاب المقدس، يمكن نسبة الثيوقراطية إلى اليهودية وأشياء أخرى كثيرة أيضاً . لكن علينا الالتفات إلى كون التوحيد اليهودي ينزع صفة القدسية عن اي سلطة سياسية بما فيها مملكة إسرائيل.

---

(٢٨) المصدر السابق ٢٥١ - ٢٥٢.

(٢٩) م. ن.، ص ٢٥٢.

(٣٠) ل. بوف، **الثالوث، المجتمع والتحرّر**، بيتربوليس، ١٩٨٦، ص ٢٩.

٥ – الفرد

القسم الأخير من هذا البحث يتعلق بالفرد. قد يبدو لنا أن هناك مفارقة في القول إن للثالوث في هذا المضمار ما يقدمه. الا تجد الأنانية موقعها في أعماق الفرد إلى حد أن عدداً من التيارات الفلسفية والدينية استهدفته بشكل رئيسي واعتقدت أنها وجدت في مبدأ التفريد سبب كل جهل ما ورائي وأساس الشقاء في العالم ؟

عندي ان الثالوث يدفع إلى تأسيس كرامة الفرد وحريته ومن دونها، يجري إفساد العائلة والمجتمع وتتحول إلى منظومات قهرية .

إن الاقنومية هي آخَرية (altérité) وستبقى كذلك لأن الاخلاء في الثالوث يتوازن باستعادة الذات وبالتبادل. وحتى الأخلاء المطلق للابن في التجسّد والصلب فهو يتطلب اعترافاً من الإنسان ويستدعي محبة الإنسان للّه (لا ننسَ القول المؤثر "بطرس هل تحبني؟" (يوحنا ٢١:١٦). ان المحبة الإنسانية جواب على المحبة الالهية للإنسان ولكن قبل كل جواب إنساني، يستعيد الابن ذاته في المجد الفصحي .

يقول بولس الرسول ان التجسّد جعل منا راشدين (غلاطية ٤:١-٧). ذلك انه يعيد تأسيس إنسانية الإنسان . عندها لا يصبح العدل وحده ممكناً فحسب بل القداسة. والقداسة وحدة لا تبطل فرادة الفرد بل تتمّمها. ومن خلالها يتحقق التألّه .

التألّه نقيض الذوبان الذي يعرفه التصوّف الهندوسي. هناك لاهوت للجسد مؤهّل لإسناد استحالة الذوبان من خلال التأكيد على جذرية الشخص الإنساني في علاقته بجسده الخاص الذي يبقى كذلك بعد الوفاة .

لا يصير الاقنوم آخراً بأي حال من الأحوال. الفرد لا يخسر ذاته . وعندي ان البابا يوحنا بولس الثاني يتلاقى مع فكرة كارل بارت عن جماعة الأشخاص التي تتشكل على صورة الثالوث [٣١] لكنه يقيم معها توازناً من خلال تشديده

---

(٣١) Jean-Paul II, *A l'image de Dieu homme et femme*, Paris, Cerf, 1980,p.77.

المصيب على العزلة الأولية والعميقة للكائن الإنساني الذي قبل أن يكون متضامناً هو وحيد لأنه يُدرك قبل كل إشارة الى الاختلاف الجنسي كوعي للذات متميز عن الحيوانات[٣٢]، كتحديد للذات من خلال تلقيه الوصية الالهية التي تجعل منه موضوع العهد من خلال الارادة[٣٣]، وأخيراً من حيث هو صاحب جسد متميز[٣٤]. والجسدانية، من حيث أنها تضفي على الشخص صفته، أعمق من الفارق الجنسي[٣٥]. باختصار، ان وحدة الإنسان تؤسس علاقة بالله حصرية[٣٦]. انها تعبّر عن طبيعته وفي المرحلة اللاحقة عن غياب الشخص والحاجة الى الرفيق الشبيه[٣٧]. ان العلاقة الجنسية لا تبطل الذاتية المستعادة بواسطة الحشمة التي "تعبّر عن القواعد الأساسية لشركة الأشخاص والتي ترتبط بيعد العزلة الاولية للإنسان"[٣٨].

لكنني اختلف مع الكاتب في قوله ان "الإنسان يصبح صورة اللّه في لحظة الجماعة أكثر من لحظة العزلة"[٣٩]. بالحقيقة لا تقلّ الواحدة عن الأخرى من حيث هي صورة للثالوث لأنّ الأقنومية هي آخرية. فالوحدة (solitude) (وهي بالطبع غير الاحادية (solipsisme) أي اعتبار الفرد نفسه وحيداً في العالم) هي شرط امكان الآخرية. الإنسان على صورة اللّه من حيث هو وحدة وآخرية.

(٣٢) المصدر السابق ٤٨.
(٣٣) م. ن. ٥١.
(٣٤) م. ن. ٥٣ – ٥٥.
(٣٥) م. ن. ٦٤.
(٣٦) م. ن. ٥٢.
(٣٧) م. ن. ٤٣.
(٣٨) م. ن. ٣٩.
(٣٩) م. ن. ٧٧.

انجزت طباعة هذا الكتاب في شهر
تشرين الثاني من عام ١٩٩٤
مطبعة أيس ديزاين اند برنتنغ

مجلس كنائس الشرق الاوسط

المركز الرئيسي .
ص ب . ٥٣٧٦ بيروت - لبنان
هاتف ٣٤٤٨٩٤/٦ - ٣٥٣٩٣٨
برقيا اكليسيا
تلكس 22662 OIK LE

مكتب الاتصال
P.O. Box 4259 Limassol Cyprus
Tel. 05-326022
تلكس · 5378 OIK CY
تلفاكس · 324613 - 05